

روايات رومانسية عالية  
عبيد



آن ميثر

# يساي الغجر



مكتبة العبد



# روايات رومانسية عالمية

# عبير

## ليالي الفجر

المجموعات الفجرية في كافة أقطار العالم معروفة بفرحها اللانهائي بالطبيعة ، وبتجوالها الدائم من مكان إلى آخر ، من قارة الى اخرى . وهي في ترحالها هذا تقيم الاحتفالات الصاخبة التي تدعو إلى المشاهدة والدهشة عددا كبيرا من الناس حيثما حل الفجر . هكذا كان لابد للمعلمة الانكليزية المسافرة في رحلة سياحية ، دابون ، ان تلتقي الفجري مانويل في فرنسا وسط منطقة الكامارغ الرائعة الجمال .

إلا أن اقارب مانويل يتدخلون من كل جهة ، امه تبارك العلاقة لكن صديقه ايفون - وهي رفيقة طفولته - تحاول تخريبها وتنجح ... تنجح الى حد بعيد ... ويرافق هذه الاحداث المضطربة الطفل السعيد جوناثان ... لكن من هو جوناثان ؟ وهل تتمكن المعلمة الانكليزية السانحة من التغلب على القدر الفجري ؟

مكتبة زهران

١٥ ش الشيخ محمد عبد

خلف الجامع الأزهر

ت : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨



## ١ - اللقاء المفاجيء

على السهول المنخفضة من وادي الرون بجنوب فرنسا، وفي أوائل شهر  
ابريل/نيسان من كل عام تقريباً، تهب رياح المسترال، وقد استجمعت لفحاتها  
الباردة من منحدرات البروفنس العليا التي يكسوها الجليد عادة في ذلك  
الوقت من السنة. لتتلا طريقها العاصف عبر مستنقعات الكامارغ بعواء، كأنه  
صراخ يطالب بالنار. عندئذ لا يحاول انسان أو حيوان أن يعترض سطوة  
المسترال ولكن أزهار النرجس والسوسن البرية الشجاعة التي تنمو بين أدغال  
القصب أو القاب وحدها تجرؤ على أن تعلو برؤوسها لتعلن مجيء الربيع الى  
مصبة النهر.

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية  
NIGHT OF THE BULLS

وتتوقف الرياح الهانجة بطريقة مفاجئة مثيرة.  
ويعود دفء الشمس بدرجة تفوق التوقعات، فيمحو ذكرى الأراضي البباب  
التي كان الجليد يغطيها منذ أيام، حين كانت الطيور البحرية تسعى يائسة في  
طلب الرزق، وهي تتعقب آثار الخيول البرية البيضاء التي تجولت أحياناً في  
هذه المناطق، فتفتت بحوافرها كتل الجليد المتراكم.  
وتعود الحياة الى الدلتا بأكملها، فتكتسي بالبهجة التي لا تعرف لها مثيلاً،  
حتى في ذروة الصيف عندما تجف المستنقعات بفعل حرارة الشمس، وتتحول الى  
مساحات من الأراضي الموحلة المتشققة ويدب النشاط في كل مكان، وتزخر  
البحيرات الساكنة والمستنقعات الزرقاء بالحياة البرية ويظهر العصفور الشادي  
الممتليء الوجنتين الذي يحاول أن يتشبث بالأعشاب الطويلة، ويلمع ريش



أكل النحل بألوانه الزاهية وهو يندفع الى أسفل ليصطاد بعض الحشرات التي تسبح فوق سطح الماء ويسير طائر الفلا برشاقتة الغريبة في المستنقعات بخطى تعبر عن الأبهة.

كانت دابون تعرف هذا الوقت من السنة معرفة جيدة. ففي مثل هذا الوقت جاءت الى البروفنس ، هذه البقعة المميزة من فرنسا ، والتي أصبح لها مغزى كبير في حياتها الشابة فيما بعد. والآن تجد نفسها في طريق العودة من جديد ، تعاني من المشاعر نفسها المصطرعة مرة أخرى . انه الشعور الذي أصابها عندما غادرت المكان نفسه في نوبة مندفعة منذ ثلاث سنوات.

ولكن كيف كان يمكن لها أن تنفادى ذلك ؟ وفي مثل تلك الظروف؟

وبدأت الطائرة تهبط فجأة ، ومالت دابون في مقعدها الى الخلف ، تضم ذراعها باحكام وتحبس بالدوار الناشئ عن هبوط الطائرة. كان عليها أن تتذكر أنها مازالت في الطائرة وأنها على وشك الهبوط في مارينيان .. ورغم أن دابون كانت تتذكر جيدا مستنقعات كامارغ الجميلة ، فأنها كانت تعلم ان لا أحد سيرحب بمقدمها.

وكان هناك شاب يجلس على الجانب الآخر المقابل لمقعدها من ممشي الطائرة ، بدا أنه لاحظ حيرتها ، فأنثنى نحوها، وهو يستند الى مقعده . كانت دابون قد أحست بنظراته ، يختلسها اليها من وقت لآخر أثناء الرحلة ، ولكنها لم تشجعه في التعارف بها ، لأنها كانت حريصة على ألا تتورط مع أي رجل .

وبد أن الشاب لاحظ القلق الذي ينتابها في شكل هستيري شامل كلما راودها التفكير فيما كانت مقدمة عليه .

وتشجع الشاب ، فلمس ذراعها برفق ، وبدأ حديثه بالفرنسية قائلا :  
«عفو يا أنسة»

وأكمل بالانكليزية : «هل بك سوء؟»

كانت نبراته تدل على أنه فرنسي ، ولكن كيف تسنى له أن يعرف أنها انكليزية ؟ ولم تجد دابون تفسيراً لذلك سوى أنه ربما سمعها تتحدث الى مضيقة الطائرة.

وحاولت أن تعتدل في جلستها ، برغم حزام الأمان الذي يقيد حركتها. وتصنعت ابتسامة باهتة ، وأجابت :

«أشكرك ياسيدي ، انني بخير ، ولكن ، هبوط الطائرة يشتر أعصابي دائما».

وأوماً الشاب برأسه قائلا :

«أستطيع أن أفهم ذلك»

ولفتت ملامح وجهه البارزة المحددة نظر دابون ... اذ كان شابا وسيما ، ولو كانت صديقته كلاري معها لأنتهمتها بالغباء لصدها أي شاب يبدي اهتماما بها. لكن كلاري ليست معها الآن ، فهي هنا وحدها. وأمامها الآن الكثير مما ينبغي أن تستعد له في هذه اللحظة. وهكذا حولت نظرها الى النافذة لتقطع أية محاولة لاستئناف الحديث معها. وبدأت ترى الأسفلت على ممر الهبوط يبدو وكأنه يندفع الى أعلى ليقابل الطائرة ، وأغلقت عينيها، وأحس الجميع بصدمة خفيفة . توقفت بعدها الطائرة على أرض المطار.

كان الهواء خارج الطائرة دافئا ، ولم يستطع أزيز محركات طائرة فوق رأسها أن يبدد ماكانت تثيره اللحظة من مشاعر مختلفة في أعماقها.

وأخذت دابون تهبط درج سلم الطائرة بعدما غمالت مشاعرها، واتجهت الى مبنى الجمر.

تم كل شيء في الحال ، وكان الموظفون يحيونها بابتسامة دافئة ، فسرتها بافتتان الرجل الفرنسي بأية امرأة جذابة ، وخرجت من المطار تعلق وجهها الحجل ، ولكنها كانت على الأقل أكثر ثقة بقدرتها على مواجهة ماينتظرها.

ونظرت دابون حولها، ولم تستطع أن تهدد احساسا طفيفا بالارتياح كان



الهواء معطرًا بأريج الأزهار ، ممزجًا برائحة البحر النفاذة ، في حين كانت تحس بشيء من الدفء نتيجة لحرارة الشمس . وبدأت تسائل نفسها أين تجد السيارة التي سيق لها أن رتبت إستئجارها ، وتوقعت أن تجدها في انتظارها في المطار . كان هناك حشد من السيارات والأتوبيسات تنتظر المسافرين لتحملهم الى مدينة مرسيليا .

وبرز الشاب رفيق الطائرة مرة أخرى . وكأنه كان هنا بالصدفة ، واتجه إليها ، وبدأت دابون تعض على شفتها بشيء من القلق .

كانت تأمل في ألا يسبب لها الشاب شيئاً من المتاعب . وعندما بدأ يتحدث إليها من جديد التفتت إليه بشيء من الغضب يعلو جبهتها الملءاء فوق عينيها لهما طيف من لون خضرة البحر ، وسألته :

«نعم ياسيدي !»

ورد متسائلاً :

«هل ينتظرك أحد يا أنسة ؟»

وترددت دابون لحظة قبل أن تومئ بالاجاب . لم تكن هذه الاجابة - رغم كل شيء - أكثر من تحوير بسيط للحقيقة . وسأل الشاب مرة ثانية «لست بحاجة إذن الى من يوصلك بالسيارة»

وأجابت دابون على الفور :

«لا ، شكراً !»

ووضعت دابون يدها في حقيبتها تتحسس شيئاً ، ثم أخرجت منظراً قاتماً ، ووضعت على عينيها . كانت عدسات المنظار مربعة الشكل كبيرة الحجم . نجح المنظار في اخفاء ملاحظتها . كانت تأمل في أن يفهم الشاب مغزى حركاتها ، وأن يمضي في حال سبيله ، ولكن ها هو الآن يتقدم نحوها مرة ثانية ، يقول :

«أعتقد أن هذا قد سقط منك يا أنسة !»

واستدارت دابون بسرعة تتأهب لرفض الفكرة ببرود ، ولكنها هشت في دهشة عندما وجدت أوراقها الخاصة بالهجز في الفندق بين يديه .

ولم تملك الا أن تجيب في حرج :

«أوه ، أوه شكراً ، لا بد أنها سقطت مني عندما كنت أخرج منظاري ، شكراً.»

وابتسم الشاب وهو يقول :

«أن ذلك من حسن حظي يا أنسة.»

وأضاف :

«سامحيني ، فلقد عرفت انك تنوين الإقامة في آرل . انها مدينة جميلة. أنني أسكن قريباً من هناك.»

وجبت دابون أنفاسها ، ثم صاحت :

«حقاً !»

ونظرت حولها بسرعة ، ثم أضافت :

«أنني أوافق ، فهي حقاً مدينة جميلة..»

وبدا على الشاب شيء من الحيرة وهو يقول :

«هل أنت متأكدة أنك لا تحتاجين الى أن أوصلك بسيارتي ، يا أنسة؟»

وأجابت دابون وهي تحرك يدها مستنكرة :

«أوه ، لا ! انني ، حسناً ، استأجرت سيارة بالفعل . انها ينبغي أن تكون هنا ، في مكان ما.»

كان الشاب يصفي بانتباه . وبدأ بعين فاحصة ينعم النظر في السيارات الواقفة ، ثم قال :

«ها أعتقد أنني أعرف أين نجد سيارتك.»

وعندما همت بشكره ووداعه ، أخذ يعلق بمرح :

«أنني أمضي معظم وقتي في آرل سوف أكون سعيداً للغاية لو قبلت دعوتي



الى العشاء في احدى الأمسيات . وابتسمت دابون ابتسامة غامضة لا تعني القبول أو الرفض ، وهي تعتقد أنه سوف يقنع نفسه بأنها مجرد سائحة ، وأنه لن يفهم نفسه ليتوصل الى الأسباب الحقيقية لزيارتها.

وانطلقت دابون بالسيارة غرب مرسيليا ثم الى الشمال متجهة صوب أرل عبر سهل لاكرو العظيم . كانت المنطقة تبدو موحشة ، ومع ذلك كان هناك محاولات للاستزراع تظهر بين الفينة والفينة ، وتذكرت أسطورة كان مانويل قد قصها عليها . تقول الاسطورة «أن هرقل الجبار قابل ذات مرة شعبا من المردة العملاقة كان يعيش على ذلك السهل الذي تمر به الآن . واضطر هرقل الى أن يستنجد بزيوس كبير آلهة اليونان ، واستجاب الاله بأن أسقط كسفاً من الحجارة على أولئك المردة ، وبذلك أنقذ هرقل من الموت . » ومن يومها ترقد كسارة الحجارة المتبقية من المعركة في المكان رغم السنين والحقب . انها تذكر مانويل ! وسرت رعشة في عروقها . فلأول مرة منذ غادرت لندن سمحت لنفسها أن تتذكره ، وكانت الذكرى تعني اثاره المظلمة في أعماقها . وتحسست حقيبة يدها ، فوجدتها وأخرجت منها علبة السجاير ، واشعلت واحدة بأصابع مرتعشة . لم يكن من عادتها أن تدخن كثيراً . كانت تدخن فقط عندما تحس بالتوتر ، وهي الآن بحاجة الى شيء ما .

كانت الساعة بعد السادسة عندما بلغت أرل ، وكانت تحس بأثار السفر وبالاجهاد . واتجهت مباشرة الى الفندق ، وسجلت اسمها ، ثم صعدت الى حجرتها لتأخذ حماماً سريعاً بعد أن رفضت أن تتناول إلا بعض الشطائر وافقت الادارة أن ترسلها اليها في حجرتها .

وعقب ذلك ارتدت ثوبا طويلا من الحرير وجلست الى جوار النافذة . تطل على أحد الميادين الصغيرة ، وهي تتناول الشطائر ، وتشرب فنجاناً من القهوة الفاخرة التي أعدها صاحبة الفندق بعناية .

وألقت دابون ببقية الشطائر جانبا عندما بدأت الذكريات تتوارد الى ذهنها لتعكر هذوها . ماذا يحدث لو أن مانويل رفض مقابلتها ؟ له أن يفعل ذلك اذا شاء . ولكنه لن يعلم الحقيقة لأنها مصرة على ذلك .

وغاصت في مقعدها بعد أن وضعت فنجان القهوة الفارغ فوق الطبق وتحسست حقيبة يدها ، فأخرجت منها بعض الصور الفوتوغرافية ، وأخذت تنظر اليها بحب وحنو . لقد مس الصغير الذي كان في الصورة مشاعر قلبها . وبدأت تحس بدموع في مقلتيها . لقد مضى عليها زمن طويل لم تعرف فيه البكاء ، وأخذت تفكر فيما يشغل جوناثان به نفسه الآن : كيف حاله ، وكيف يعامل كلاري التي تعهدت برعايته خلال غيابها في هذا السفر ؟ ومالت برأسها على الصورة وجعلت شفيتها تمسح شفاة الصغير في الصورة وهي تهمس بصوت ضعيف :

«لتسعد مساء يا جوناثان .»

وأعادت الصورة الى الحافظة الجلدية ، ثم وضعت هذه في الحقيبة الكبيرة من حقيبتى السفر .

استيقظت دابون في الصباح على وهج الشمس تخترق بأشعتها ستائر الغرفة ، وظلت لحظة تعجز عن أن تتذكر أين هي . وهلعت عندما لم تجد فراش جوناثان هناك بجوار فراشها ، ولكنها في الحال تذكرت قصة سفرها الى هذا المكان الجديد .

كانت دابون قد قررت أن تنصل هاتفيا ببيت سان سلفادور حول وقت الغداء ، لتتحدث الى مانويل . ولم تكن ترغب في الحديث الى أمه أو أبيه حول الموضوع ، اذ أنه موضوع يخصها هي و مانويل ، يخصها دون غيرها .

وبعد أن وضعت بطاقة بريدية معنونة الى الخالة كلاري في صندوق البريد تطمئنتها على سلامة الوصول ، وجدت نفسها في حالة قلق بينما كان



الصباح يمضي في بظه وتثاقل . ان الشعور بالانفعال حول هذا الموضوع كان يثير الضيق ، ولا بد لها بطريقة ما أن تهدىء من هذا الانفعال قبل أن تقابل مانويل .

وتوقفت عن التفكير في ردود فعله حين سيرها . لا بد أنه متزوج من إيفون الآن . له مسؤولياته الخاصة التي يتحملها ، وقد يرفض مقابلتها . انه بالتأكيد سوف يرفض المراقبة لو علمت بها إيفون . ثم لماذا تظن أنه سوف يقربها النقود على أساس علاقة كانت بينه وبينها مذ ثلاث سنوات علاقة انضغ أنه لم يكن يعتبرها ملزمة .

وعادت دابون بالسيارة الى الفندق بعد الثانية عشرة بقليل ، ودخلت الى غرفة الاستقبال على مضض . كانت قد لاحظت أن هناك حجرة للهاتف في الردهة يستخدمها النزلاء ، فاتجهت اليه . كانت تريد أن تطلب المكالمات قبل أن تنفد شجاعته ، وكان يوسعها أن تذكر الرقم ولكنها كانت تحتفظ به مكتوبا . ورفعت الساعة بأصابعها المرتعشة ، وطلبت من عاملة الهاتف أن توافيها بالمكالمة . كان الجرس يدق على الطرف الآخر من الخط ، وكانت يداها قد ابتلتا بالعرق ، كما صارت حباته تتجمع على جبينها .

ورفعت ساعة الهاتف أخيرا على الطرف الآخر .. وسمع صوت امرأة تقول بالفرنسية :

«نعم ، هذا بيت سان سلفادور من المتكلم ؟»

وانهار صوت دابون فجأة ، ولكنها تمكنت أخيرا من أن تسأل في صوت خافت بالفرنسية :

«هل أنت مدام سان سلفادور ؟»

وأجاب الصوت :

«لا ، أنتي جين هل تريد مدام سان سلفادور ؟»

وردت دابون بسرعة :

«لا ، لا ، هل السيد سان سلفادور أقصد السيد مانويل سان سلفادور موجود؟» وترددت جين لحظة ثم أجابت :

«لا ، إنه في أفينون .»

وسقط قلب دابون في أعياقها الداخلية اذا مانويل الآن في أفينون ؟ أنهت المكالمات ، وانصرفت وهي تحبس برعدة تثاب جسمها .

وعندما خرجت من حجرة الهاتف ، كان مدير الفندق في الردهة ، وأخذ ينظر اليها بقلق وهو يلاحظ شعوب وجنتيها وابيضاض عينيها ، ولم يتردد في أن يسألها بهجرع :

«هل كل شيء بحير يا أنسة؟»

وهزت دابون رأسها ، وهي تأمل ألا تفارقها شجاعته . أجابت بسرعة :

«لا ، لا ، لا شيء .»

وأضافت :

«الجو جميل ، أليس كذلك ؟»

ولم يملك مدير الفندق إلا أن يردد :

«نعم ، جميل .»

وأوما برأسه ، بينما هي ترقى الدرج الى غرفتها .

في الوقت الذي كانت تستعد فيه للغداء بملابس قطنية جذابة بلون الليمون صنعتها لها كلاري ، حاولت دابون أن تتفهم موقفها جيدا . وأخذت تمشط شعرها ، وتصلح منه من جديد ليحتفظ بوضعه .

ونزلت الى حجرة الطعام تعاني من شعور واضح بالهواء في معدتها ، ولكنه لم يكن خواء الجوع على أية حال .

وأكلت قليلا ، رغم أن حساء السمك كان لذيذا ، رافضة أن تتناول شيئا آخر



سوى بعض الفاكهة الطازجة. واستمتعت بشرب القهوة المنشطة. وخلال ذلك كانت تفكر في تبرير مفتح لكي تذهب الى المزرعة نفسها.

وتركت قاعة الطعام، واختارت الاستقبال الى مدخل الفندق الواسع، وأخذت تنفحص الميدان الظليل بأعين ساهمة. لم يكن في الفندق نزلاء كثيرون، فموسم السياح في أرل لم يحن بعد. ولكنهم سوف يكثرون خلال شهرى مايو ويونيو / أيار وحزيران. عندما تبدأ الأعياد ويتجمع الغجر ليحتفلوا بمناسباتهم الخاصة.

تحسست أصابعها شفتيها وهي تعود بذاكرتها الى السراء وتحس كأنها في المطعم تتناول طعاما من الخبز الجاف المالح وكوبا من مرطبات منعشة. وتسمع من جديد صوت الضوضاء والموسيقى والآثار التي لا تقاوم عندما يشعر الانسان بأنه يشارك في طقوس قديمة كانت تمارس قبل آلاف السنين.

وعادت الى الفندق وقد أطبقت يديها بقوة. لم يكن كل ذلك مفيداً. كان عليها أن تتجلد وتثار معها كان الالم ومهما كانت القسوة وذلك من أجل جوناثان.

وأضمت بعد الظهر في الفندق، مما أثار دهشة المدير. كان قد سجلها كسائحة، وكان يحيره أنها لم تخرج لتزور الأماكن السياحية مثل الباقين. ولاحظت أنه يختلس النظر اليها من مدخل قاعة الانتظار. وتظاهرت بأنها لم تلاحظه لكي تتفادى أي حرج.

وعندما بدأت الشمس تميل قليلا وأخذت الظلال تستطيل في الميدان خارج الفندق، تركت قاعة الانتظار واتجهت الى حجرة الهاتف مرة أخرى. كانت ركبناها ترتعدان قليلا، ووجدت صعوبة في الاحتفاظ بتوازنها. وصلت أخيرا الى حجرة الهاتف.

للمرة الثانية، ورد عليها صوت نسائي للمرة الثانية. وكادت قواها تخونها.

ولكنها لم تكن حين هذه المرة. كان الصوت صوت فتاة، وظنت دابون أنها تعرف ذلك الصوت منذ أمد بعيد: كانت مانويل أخت صغيرة اسمها لوزا...

حاولت دابون أن تخفي لهجتها الانكليزية، ونظقت بفرنسية واضحة: «معدرة، ولكنني أريد التحدث الى السيد مانويل سان سلفادور» واستفسر الصوت الآخر بدهشة:

«مانويل؟ من الذي يطلبه؟»

ترددت دابون، إذ كيف يمكن لها أن تحجب على السؤال دون أن تتورط في موقف تريد أن تتجنبه، وأجابت في مراوغة:

«أنتى صديقة للسيد سان سلفادور»

وردت الفتاة بدهشة تسأل:

«هل أنت انكليزية؟»

وضمت دابون شفتيها. لم تكن تظن أن لهجتها الفرنسية سيئة الى هذا الحد، ولكن سنوات عدة مضت لم تستخدم فيها الفرنسية.

ووقعت في حيرة، ماذا عساها أن تحجب؟ لو أنها أنكرت أنها انكليزية، فسوف تدرك الفتاة كذبتها، ولو أنها اعترفت فان موقفها يزداد سوءاً. ووجدت دابون نفسها ترد:

«أن ذلك ليس مهما»

وللمرة الثانية وضعت سحابة الهاتف وهي تحتقر جبتها.

وتركت حجرة الهاتف وصعدت الدرج الى غرفتها، وحملت في المرأة: كانت عيناها مكدودتين، وكان القلق واضحا في خضرتها. كيف يمكن أن تنصرف؟ وبينما كانت تبدل ملابسها استعداد لتناول طعام العشاء، سمعت نقرا خفيفا على الباب وصوتا ينادي:



«يا أنسة ، يا أنسة»

كان صوتا نسائياً . وعبرت دابون الحجرة الى الباب وهي تحكم ازارها حولها .  
كانت الخادمة أمام الباب تقول بابتسام :

«مكالمة هاتفية لك يا أنسة ، لسوء الحظ عليك أن تنزلي الى الردهة للرد عليها» .  
أمسكت دابون بمقبض الباب باحكام ، وهي تسأل في صوت خافت :  
«أأنت متكددة بأن المكالمة لي ؟»

وأجابت الخادمة :

«نعم بكل تأكيد يا أنسة ، انه صوت رجل !»

وهزت دابون رأسها بارتباك ، وهي تقول :

«رجل ! أوه ، أوه . حسنا جدا سوف أنزل ، أعطني دقيقة لأرتدي ملابسي»

كانت رجلاها ترتعشان وهي تجرى هابطة الدرج الى الهاتف . ورفعت الساعة  
ووجدت الصوت يقول :

«الأنسة كنج ؟»

لم يكن ذلك صوت مانويل . كان أكثر خفة وأكثر شباباً ، وأقل إثارة .  
وسألت بعصبية :

«من . من المتكلم ؟»

«هنري مارتن ، يا أنسة . لعلك تذكريني . لقد تقابلنا بالأمس في الطائرة» .

وأسندت دابون نفسها على حائط حجرة الهاتف بارتقاء ، وهي تجيب :  
«أو ، ياسيد مارتن»

وتنفست بعمق ، ثم أضافت :

«أسفة ، لم أكن أذكر الاسم» .

وأجاب «مارتن» :

«أفهم ذلك ، ولكنني كنت محظوظا بالفعل اذ عرفت اسمك . أخبريني هل أنت

مرتاحة في الفندق ، وهل كل شيء على مايرام ؟»

وتنهدت دابون وهي تجيب باكتئاب :

«أو ، نعم ، نعم . كل شيء على مايرام . خيرا ، لماذا طلبتني ؟»

وبدا أنه شعر بالضيق ، وتسامل وهو يضحك في خفوت :

«لماذا أطلبك يا أنسة ؟ انك تعرفين طبعاً . أريد أن أعرف رأيك في قبول دعوتي  
للعشاء هذا المساء ؟»

وبسطت دابون قامتها ، وهي تقول :

«أسفة ، مستحيل» .

وسألها مصراً :

«لماذا ؟ لماذا مستحيل ؟»

وهزت دابون كتفيها النحيلتين ، وهي تقول :

«أشعر بالتعب ، ولا أفكر في العشاء على الاطلاق ياسيدي» .

ورد متعجباً :

«آه ، ولكنني أشعر بالوحشة يا أنسة ، ولا بد أنك تقبلين دعوتي للعشاء بالتأكيد» .

وكزت دابون على شفيتها وهي تقول :

«أسفة» .

وعاود الالحاح :

«اذن ! ليكن ذلك غدا» .

وأجابت :

«لا أعرف غدا» .

وكانت اجابتها هذه حقيقية فعلق ببساطة :

«انك تجررين شعوري ، أرجوك أن تقبلي دعوتي» .

وردت دابون بحزم :



«ربما يكون ذلك في وقت آخر».

ووضعت سحابة الهاتف .

وتركت المكان ، وعادت متباطئة تصعد الدرج الى حجرتها، ولم تكلف نفسها  
عناء تغيير ملابسها، واكتفت بأن طرحت نفسها على الفراش . كانت تشعر  
بالوحدة ، ولم تستطع التفكير في كلاري و جوناثان اللذين ينتظرانها في  
انكلترا.

وجمعت حقيبة يدها، وهبطت الدرج، واتجهت الى الميدان بعد أن قررت ألا  
تقبل الدعوة للعشاء في المطعم. كانت أضواء المصابيح في الطريق تلقي سيلاً من  
الضوء على الشوارع المعتمة ، وكان الجودافنا في شكل واضح. واكتشفت أن الضوء  
الخفيف الذي يذيب الظلام كان يلمسها لقلبها وعقلها المهمومين . وأرتاحت الى  
تذكر القول المأثور «الغد يوم آخر».

تذكرت دابون انها كانت قد شاهدت مانويل أكثر من مرة في الحظيرة في  
مزرعته مع الثيران، وكم من مرة كانت تقف ساكنة عندما يقوم ببعض الحركات  
أمام تلك الثيران ، والتي لو كان قام بها أمام المشاهدين في الحلبة لاستحوذ على  
صيحات الإعجاب . كان ذلك يحدث أحياناً، وكانت تكرهه في تلك المواقف لأنه  
كان يسبب لها القلق والألم. كانت تجري هاربة منها، ويجري خلفها.

وشعرت بالآلم في معدتها. لقد مضت تلك الشهور سراعاً مضى كل يوم من  
أيامها كأعذب ما تمضي الأحلام الجميلة، ولكن كم كان الفراق معذباً في النهاية.  
وعادت من مسيرتها في حوالي التاسعة ، وقد هدأت أعصابها المشدودة بعد أن  
استمتعت بالسير وحدها، وبالارتياح... وأزالت عن نفسها القلق فيما يكون من أمر  
الغد، فالغد شيء في علم الغيب .

ودخلت متباطئة الى ردهة الاستقبال في الفندق وحقيبة يدها تسدلى فوق  
كتفها، بينما يدها تمتد لتسوى جديدة من شعرها الأسود الحريري خلف أذنها. كانت

في أول الأمر تظن أن الردهة خالية، ولكن ماكادات تجتاز المساحة العريضة  
المغطاة بالسجاد الأخضر حتى وجدت رجلاً ينهض من كرسي بجوار قاعدة  
الدرج، وجدته يخطو ليعترض طريقها.

توقفت دابون وصارت تجدد في ذلك الرجل.  
ونطق الرجل :

دابون ! قالها بنبرة المعروفة ، وكأنه يريد أن يعذبها:

«هل لي أن أسأل : لماذا جئت الى هنا ؟ وعن ماذا تريدني التحدث معي؟»

www.mlazna.com

dalia cool



## ٢ - الأيام الضائعة

حملت دابون في الرجل وهي تظن أن مائرا ليس الا هلوسة، نشأت بسبب حنينها الشديد لرؤية مانويل سان سالوادور من جديد، ذلك الحنين الذي ظل مخفياً في لاوعياها حتى الآن، ولكنه لم يكن مانويل الذي تعرفه كانت ذكراه حبة في مخيلتها، ولكن هذا الشخص الغريب بنظرانه الباردة كان بعيد الشبه عن الرجل الدافئ الذي عرفته وأحبته. كانت قسبات وجهه هي القسبات نفسها ومع ذلك كان هناك اختلافاً: فالأعين الرمادية أسفل الحواجب القاتمة وعظام الوجنتين البارزتين بنوع من الكبرياء، والفم المستلء بالاحساس واثار الحروق الجانبية حوله. كان يبدو الان أكثر نعافة عما مضى. والأعين الرمادية أصبحت غائرة أكثر مما كانت، وأصبحت نظراتها مشوبة بالمرارة. فم وأنف محددها خطوط بارزة. أصبح جسده أكثر نعافة رغم أن عضلات صدره كانت تنموج أسفل الجلد الناعم لسترة القصيرة. وأعاد على سمعها:

«نعم، يآنسة»

كان صوته غريباً يأتي بطريقة متقطعة. وأشاحت دابون بوجهها اذ لم تستطع أن تقبل نظرة الاتهام من عينيه، ولكن ما ذنبها؟ ولماذا ينظر اليها بتلك الريبة الواضحة وبذلك الكراهية؟ هل أصبحت ذكرى الماضي كريمة اليه الى هذا الحد؟

«أ. آ، كيف اكتشفت أنني هنا» وصاح مانويل متعجباً:

«هل هذا شيء هام؟ وأنت، لماذا أنت هنا، وماذا تريد مني الآن؟»

ونظما نحوها وأمسك بها، وارغمها على أن تنظر اليه، وكانت قبضته مؤلمة على

كتفها. وأضاف:

«لا تشيحي بوجهك دابون، أم انك تكرهين وجهي الى هذا الحد؟»

«نعم انني أكرر: لماذا أنت هنا؟»

وتنهدت دابون ثم أجابت:

«ج... جئت لأراك لـ... لم أكن أعرف من غيرك يمكن أن أذهب اليه؟»

وقطب جبين مانويل:

«هل تعانين أية مشكلة؟»

ونظر حوله بقلق وأضاف:

«لا يمكننا أن نتحدث في هذا المكان. أليست لك حجرة؟»

وعندما أومأت برأسها، قال:

«فلتذهب الى حجرتك.»

ووجدت ناسها ترد بسرعة:

«لا»

وبدأت تنداعى من اليأس:

«لا، أعني لا يمكن أن نذهب. انها حجرة صغيرة، مجرد حجرة نوم لا أكثر.»

وهزت دابون رأسها بيأس. تكن تريد مقابلته في تلك الحجرة الصغيرة في

وحدها الطويلة خلال الليل. وتعثرت وهي تقول:

«توجد قاعة للانتظار هنا، ربما تكون خالية.»

ودفعت الباب، ودخلت الى القاعة المظلمة وأضاءت الأنوار في سرعة، وكان

مانويل متجهماً وهو يقول:

«لأبأس، انه مكان مناسب. والآن؟»

ودخل القاعة الهادئة، وأغلق الباب، وأسند ظهره اليه.

وقال لها:



«والآن يا دابون ما المشكلة، ولماذا تحتاجين الى مساعدتي؟»

وبدأت دابون تذرع الحجرة بقلق . لم تستطع أن تقف ساكنة تحت نظراته الفاحصة . ولم يسعفها الكلام بما تقول . والآن ، وقد بدا عليه التعب من كثرة تضجرها، صار يقول بالحاج:

«انتي رجل لا يعرف الصبر، أستحلفك بالله قولي ماتريدين، ولا تخشي شيئاً. ماذا تريدين ؟ هل هي النقود؟»

وتلعثمت دابون فجأة وبدأت تحدد النظر فيه وشفاتها ترتعشان وهي تقول:

«لماذا تخيلت انتي في حاجة الى نقود؟»

نطقت بذلك حين أحست بلهجته الساخرة.

ورد بشيء من عدم المبالاة :

«أليست النقود هي ما يسعى اليه كل انسان ؟ وأضاف :

«إذا كانت هذه التمثيلية المحبوبة كلها من أجل النقود، فأرجوك أن تكفي. أن

هذا التمثيل يسبب لي الضرر.»

ونظر اليها باشمزاز وهو يكمل :

«انتي أنتعجب حقاً. لماذا تخيلت انتي يمكن أن أقدم لك النقود؟»

وحدقت دابون اليه واستفسرت بإيجاز، وهي تحاول أن تستجمع هذوها أمامه:

«هل يعني ذلك أنك ترفض مساعدتي؟»

وتكور في وقفته، ووضع اصبعي ايهامه في حزام البنطلون . وبدلاً من أن

يجيب على سؤالها ، بدأ يقول:

«أخبريني لماذا تريدين النقود؟»

واستعادت قوتها، وقالت :

«مسألة شخصية ، ثم مادمت لاتريد أن تساعدني ، كما هو واضح فلا أرى أن ذلك أمر يعينيك.»

ورد مانويل وهو يتفحصها بعينيه :

«لا أذكر انني قلت بالضبط أنني لا أريد مساعدتك. انك تسرعين في اتهامي يا دابون . ليس لك الحق في أن تظني أنك بعد غياب ثلاث سنوات تعودين وتعجدين الأشياء والناس كما تركتهم عند ذاك.»

وضمت دابون كفيها وضغطتهما ، وقالت :

«لا أنتظر شيئاً من هذا القبيل . أعرف أن الحياة تمضي ، ولا شيء يبقى كما كان . أريد فقط أن أتجنب التعقيدات التي لا مبرر لها، ولا أحب أن أجعل هذا الموضوع يمس حياتك الخاصة.»

وأخذ مانويل يلعن بعنف ، واتجه اليها مهددا وهو يقول:

«هل كنت تتصورين أن تخضري الى هنا دون أن تمس حياتي الخاصة كما تقولين؟»

وارتعدت دابون بسبب انفعاله المفاجيء ، وقالت بالفاظ مكبوتة :

«أنك لاتفهمني . لم يكن بد من مجيء اليك. لم يكن هناك شخص آخر أستطيع أن ألتجأ اليه.»

واحدودبت كتفاه، وحاول أن يسيطر على نفسه بصعوبة وهو يقول:

«وهل أنت بحاجة الى نقود؟»

وتكثت دابون من أن ترد بصعوبة :

«نعم»

وسأل :

«كم تريدين ؟»

«وبلغت دابون ريقها بصعوبة ، وقالت وهي تلعثم



«خمس... خمسانة جنيه»

وقطب حاجبيه . وهو يعلق :

«خمسانة جنيه ؟ ماهذا ؟ مايقارب أربعة آلاف فرنك؟»

وأومات دابون ؟

«شيء قريب من ذلك ؟»

ولاك مانويل شفته السفلى بلسانه لمدة دقيقة ثم قال :

«خمسانة جنيه . آه . وبدأت عيناه تهيم عبر قامتها النحلية .

«لأى شيء تحتاجين هذه النقود يا دابون ؟ هل انت حامل ، مثلاً ؟»

وحدقت دابون اليه في استمزاز وهي تقول :

«لا ، لا . كيف تجرؤ أن تقول شيئاً كهذا ؟ وتكسر صوتها من الألم ، وكان عليها

أن تتنفس بعمق مرات عدة حتى عاد الهدوء اليها»

ونظر اليها نظرة خاطفة وهو يقول :

«لكن لماذا لا يحق لي أن أظن هكذا ؟»

وانطلقت يد دابون بقوة ، وصفعته على وجهه قبل أن يتحرك من مكانه .

وهرولت أمامه الى الباب وهي تصرخ ، وفتحته ، وأخذت تجري وكأن الشيطان

يطاردها . وصعدت الدرج مسرعة الى حجرتها ، وأغلقت الباب خلفها ، وأوصدته

بالمفتاح وأستندت ظهرها اليه وهي ترتعش ، ولكن لم يكن هناك صوت يدل على

أن شخصاً ما يتابعها . ولم يكن هناك طرق شديد على الباب : كان هناك صوت

أنفاسها هي ، والتي استغرقت دقائق عديدة لتعود الى وضعها الطبيعي . وعندما

تأكدت أن لا أحد وراءها ، طرحت نفسها على الفراش ووجهها الى أسفل وعيناها

جافتان وهي تكاد تشعر انها فقدت كل شيء في الحياة .

وقامت دابون من الفراش في الصباح التالي على غير رغبة ، ولم تكن قد

نعمت بنوم هادئ . وكانت هناك خطوط قاتمة على حافة عينيها . نزلت لتناول

الافطار ، وقد ارتدت منظاراً قائماً لتجنب الملاحظات الودية التي لن يمكن

تفاديها من مدير الفندق .

كان افطارها يتألف فقط من عدة فناجين من القهوة ، وخلال ذلك حاولت أن

تستعيد الثقة بنفسها . كانت تمنى لو أن كلارى كانت معها ، ومع ذلك فان

كلارى لم تكن لتوافق على طريقتهما في مسايسة الأمور . وكلارى من

أنصار أن يقول الانسان الحقيقة وليحدث ما يحدث ولكن . في هذا الموضوع

بالذات ، لم تستطع دابون أن توافقها : اذ كيف تعترف لمانويل سان سلفادور

بالسبب الحقيقي وراء حاجتها للنقود ؟ وماذا كان يمكن أن يكون رد فعله اذا ما

اعترفت له بالحقيقة .

وبدأ هاجس يعنفها من الداخل : ولكن ، ماذا عسالك أن تفعله اذا لم يعد ؟

كيف تتصرفين ، أنتصحين بفرصة جوناثان في الشفاء من أجل كبريانك ؟

واعتمل شعور بالوهن في نفسها ولكن ، هل كان يوسعها أن تلجأ الى شخص

آخر ؟ لم يكن لديها أي أحد عدا الخالة كلارى .

ووخزت الدموع عينيها . ان خمسانة جنيه لم تكن تعني شيئاً بالنسبة لآل

سلفادور بل ان ألفي جنيه لم تكن بالنسبة لهم سوى مجرد نقطة ماء في المحيط

عندما كانوا يعرضون عليها النقود في وقت مضى ، كانوا حريصين على أن يدفعوا

لها أكثر من هذا المبلغ قبل ثلاث سنوات ، فلماذا لا يعطونها ما هو أقل بكثير الآن ؟

وأومات يانسة . ماكان يجوز لها أن تمزق ذلك الشيك . ولكن هل كانت تعلم أنها

سوف تحتاج اليهم في أي يوم من الأيام ؟

وأطلقت تنهيدة . ثم خرجت الى درج الفندق . كان صباحاً جميلاً آخر ، وكانت

أشعة الشمس تتلألأ على برج الكنيسة الذي يقع على مرأى النظر . كانت مجموعة

من راكبي الخيل تعبر الميدان وحوافر الخيل تصطدم بأحجار الطريق ، وكان بينهم

أطفال يظهرون براعة في الركوب . لم تكن أعصنة بيضاء بل رمادية لها كتل



الشعر الكثيف في الدليل التي عرفت بها أحصنة الكامارغ .  
ولم يكن من الممكن أن تبقى طوال النهار في الفندق تنتظر . وكانت أعصابها  
مشدودة الى حد الارهاق . كان الدواء الوحيد لها أن تتصرف ، وبأية طريقة .  
واخذت القرار فرجعت الى الفندق وبدأت على الفور تبديل ملابسها ولبست  
بنطلونا ضيقا وقميصا جذابا لونه أحمر مزرق ، أما شعرها فكان ممسطا كالعادة .  
كانت حريصة على أن تبدو وكأنها ذاهبة الى العمل . لم تكن تحرص على أن  
تزين ، فلا أحد في مزرعة سان سلفادور يعنيه مظهرها .  
وملأت خزان السيارة بالوقود واتجهت الى خارج المدينة ، تقود سيارتها على  
الطريق الترابي الذي يمتد حلزونيا بين النهر والمستنقعات . كانت باستمرار ترى  
وتسمع صوت الماء يتدفق وأخذت مجموعة من الطيور المائية والبط البري تحلق  
وهي تطلق صياجا عاليا حين أفزعها صوت محرك السيارة ، وكان الريش الأحمر  
القرنفلي لمجموعة من طيور الفلامنغو يومض بعيدا عنها كأنه سراب في  
مستوى المياه . كانت هذه الطيور تخوض في المياه الضحلة في إحدى البحيرات  
التي تعج بالأحياء المائية من كل نوع ، والتي تتغذى عليها آلاف الطيور التي  
تسكن في مصب النهر . أما تلك المساحات الملونة بين سيقان القصب أو الغاب  
فقد اتضحت انها مجموعات من نباتات المستنقعات المائية بينها أزهار البنفسج  
الصغيرة الرقيقة وكأنها تصارع الحياة في هذه المنطقة . رأت المنظر الذي سبق أن  
أثارها ، ذلك هو منظر ثيران كامارغ . كان هناك أكثر من عشرة رؤوس منها  
ترعى على الروابي العشبية التي تنمو في تربة المستنقعات . رفعت الحيوانات  
رؤوسها عندما سمعت صوت السيارة ، ولكنها لم تكثرث لاقترابها منها . كانت  
قرونها تتشني منذرة بالخطر . وأمسكت دابون بعجلة القيادة بإحكام . وكانت  
ترى العلامة المميزة لها (س . س) الخاصة بقطعان سان سلفادور على خاصرة  
كل ثور من ذلك القطيع .

أدركت أنها ليست بعيدة الآن . من الواضح أنها كانت في أراضي سان  
سلفادور ، وبعد قليل أخذت مجموعة من الأحصنة تحتفي من الطريق أمامها  
وسط أيكمة من شجر البلانترى ولمحت دابون بين الأشجار شيئا لا يمكن أن  
تخطئه ، رغم أن الصورة كانت لاتزال باهتة ، عربية كبيرة من عربات الفجر .  
وضغطت دابون على فرامل سيارتها ، وأوقفتها وصارت تحدق تجاه العربية .  
كان مظهرها يكشف عن الإهمال ، ومع ذلك كانت عربية مميزة ، وعرفت أنها عربية  
جيا ، وهي التي سبق أن ركبتهما مع مانويل .  
وكبحت دابون الأفكار التي جاءتها من وحي الطريق ، وشدت الفرامل  
وانسلت من السيارة ما الذي جاء بعربة جيا الى هذا المكان ، ولماذا اعتراها  
الإهمال الى هذا الحد ؟  
كانت الفكرة التي خطرت لها فكرة عفوية ، ولكنها كانت مقنعة . أيعقل أن  
ذلك قد حدث ؟ كانت جيا امرأة كبيرة السن فعلا ، ولكنها كانت نشطة . هل  
يمكن أن تكون قد ماتت ؟  
وتوقفت دابون على حافة الطريق . كانت الأرض حول العربية شبه مستنقع  
ولم يكن حذاؤها مناسبة للسير في الطين . كان المكان يبدو مهجورا وكانت الستائر  
المسدلة على النوافذ مغلقة ولم يبد أن في المكان بذرة حياة .  
هزت دابون رأسها ورجعت الى السيارة ، وجلست شاردة خلف عجلة  
القيادة . كانت عربية جيا بيتها الذي طالما كانت تزدهو به وتحرص على أن  
يكون شفافا نظيفا ، ولكن ها هي الآن يصيبها الصدأ .  
وعاودت النظر الى العربية من جديد واحتبس حلقها . هل يعقل أن تكون جيا  
قد ماتت ؟ وهل يكون ذلك سببا من أسباب الماراة التي يعانيها مانويل .  
ونظرت حولها في يأس ، ماذا يمكن أن تفعل ؟ أتعود من حيث أنت ، أم تواصل  
والخاطر بمقابلة زوجة مانويل ، وهي التي لم تحف كراهيتها لهذه الفتاة



الانكليزية ؟ بل هي الزوجة التي اختارتها أم مانويل لابنها على أساس أن ثروة أبيها تناظر ثروة آل سان سلفادور .

وأدارت محرك السيارة فجأة ، ووجدت نفسها تركز أفكارها حول جوناثان . لقد حضرت من أجله الى هذا المكان ، وإن كان حضورها يعني شيئا من المذلة فإن عليها أن تتحمل كل شيء وحدها .

وأوقفت السيارة مرة أخرى ، ونزلت متجهة ناحية غطاء المحرك . وضعت يدها على جبهتها تحمي عينيها من الشمس وهي تتحدق الى المدى البعيد . كان هناك شيء غامض يتحرك على مدى الأفق ، وحاولت أن تتبينه ، وتجسدت الحركة القادمة من بعد في جماعة من الرجال والأحصنة . كان الرجال هم الحراس في كامارغ يرعون قطعان الخيل والماشية .

وعندما بدأوا يقتربون من المكان ، استطاعت دابون أن تميز أنهم كانوا يسوقون قطيعا من الماشية أمامهم ، بهائم قوية سوداء جعلت دابون تنظر نحو سيارتها وهي تحاول أن تجد وجهها للشبه بينها وبين تلك الحيوانات المخيفة .

كانت مزرعة سان سلفادور تربي الثيران الأسبانية التي تشترك في حلبات المصارعة دون الأنواع الأخرى التي تستوطن كامارغ والتي تعتبر أقل قوة ، وتستخدم فقط في رياضة المباريات الحرة .

ورغم كل شيء ، كانت الثيران الأسبانية هي التي تحظى بالتقدير الأكبر باعتبارها مظهرًا للثروة ، وكان والد مانويل هو رئيس الأسرة ، وقد استحق عن جدارة لقب رئيس الفرسان الذي كان من أعظم الألقاب في المنطقة .

واندفع القطيع مارا بها دون أن يعيرها أي اهتمام ، ولكن الحراس كانوا يرمقونها بنظرات الاستغراب ، وكأنهم يسألون : من هي ، ولماذا دخلت الى مزرعة سان سلفادور ؟

وتقدم أحد الرجال الأكبر سنا بفروسه نحوها ، وخلع قبعة التي تشبه قبعات

رعاة البقر في غرب الولايات المتحدة ورفعها محبباً .

لم تكن دابون قد تعرفت على أي من الرجال ، وكانت مفاجأة لها أن يتقدم أحدهم لمخاطبتها . وقال الرجل بأدب :

«صباح الخير يا أنسة هل يمكنني مساعدتك ؟»

وابتسمت دابون ابتسامة تدل على الثقة وسألت بطريقة عارضة :  
«أين السيد مانويل ؟»

وعبس الرجل ، وهو يصحح :

«تقصدين المالك يا أنسة ؟ انه ليس هنا .»

وعضت دابون شفتها ، وقالت :

«لا ، انني لا أقصد المالك ، ياسيدي ، ولكنني أقصد السيد مانويل .»  
ورد الرجل باحترام :

«إن السيد مانويل هو المالك .»

وحذفت دابون في الرجل وهي تكاد لا تصدق لقد عرفت أن مانويل هو

المالك وهو صاحب العمل ، لكن أين إذن مانويل الأب ؟

بالطبع لم يكن في مقدورها أن تسأل مثل هذا السؤال المباشر ، واكتفت بأن

أبدت إشارة يائسة وهي تقول :

«معذرة ، فأنني لا أعرف الأسرة جيدا .»

وازداد غيظ الرجل وهو يسأله :

«أنتك من أصل انكليزي يا أنسة ، أليس كذلك ؟»

وخفضت دابون رأسها ، وأجابت :

«نعم ، هل تتكلم الانكليزية ؟»

وفغرت شفتها الرجل عن ابتسامة عريضة ، وهو يقول :

«للهلا يا أنسة ، أتكلمها قليلا .»



وبعد لحظة ، قالت دابون :

«حسنًا ياسيدي ، هل تعرف أين أجد السيد مانويل ؟»

«من الممكن أن يكون في أي مكان يا أنسة . تعرفين أن العمل كثير في هذا الوقت من السنة . هل ترغبين في أن أخبره بأنك تنتظرينه في المزرعة؟»

وهزت دابون رأسها بسرعة ، وهي تقول :

«أوه ! لا . مما جعل الحارس الشيخ ينظر إليها بشك وريبة . كان من الواضح الآن أنه قد بدأ يشك في أنها شخص غريب دخل الى المزرعة دون إذن ، وخاصة عندما اتضح له أنها لا تريد أن يعرف صاحب المزرعة بوجودها . وأضافت دابون بتعثر وبطريقة غير مقنعة :

«علي أن اعود ثانية الى أرل ، يمكنك أن تخبره بأن بإمكانه أن يجديني هناك .»

وأخفى الرجل رأسه وهو يقول :

«بكل تأكيد يا أنسة .»

وعندما لاحظت أنه ينتظر منها أن تتأهب للرحيل ، أدارت دابون محرك السيارة مرة ثانية وحركت ناقل الحركة الى الاتجاه الخلفي ، الى حد أن السيارة الصغيرة اندفعت الى الخلف ، وبدأت عجلاتها تنزلق على الأرض غير المستوية ، وسقطت على جانب الطريق ، في القناة التي تحف به .

وضغطت دابون شفيتها بإحكام وهي تحاول أن تتخلص من الذعر المفاجيء . وفتحت باب السيارة ، ونزلت منها لتعرف مدى الضرر .

كان الأمر بسيطاً ، فالعجلة الخلفية فقط قد غرست في الطين . ومع ذلك كان من الصعب الخروج من هذا المأزق دون مساعدة . ونظرت الى الحارس الذي بدأ يربت على ظهر حصانه . وتحرك الحصان خطوات قصيرة الى الأمام ، وسأل الحارس :

«هل معك حبل يا أنسة ؟»

وترجل الحارس من فوق صهوة جواده ببطء بطريقة تنم عن عدم الاكتراث . كان ذلك في حد ذاته أمراً مخيفاً ، وربما كان عذره أنه كان قد أمضى ساعات طوال في أراضي المستنقعات الممتدة بين الأرض والسما .

وقال الرجل بهدوء ، وهو يفك حزمة صغيرة من الحبال أخرجها من سرج حصانه :

«معني الحبل يا أنسة .»

وارتاحت دابون لهذا الخبر وابتسمت ثم قالت :

«أين يمكن أن نربطه في السيارة ؟»

ورفع الحارس حاجبيه ، ثم انحنى ليربط الحبل في الحاجز الأمامي للسيارة

وبسط قامته بعد أن أتم ذلك ، ثم قال :

«أما عجلة القيادة يا أنسة ، فعليك أن توجهيها هكذا .»

وشرح لها ما ينبغي أن تفعله .

وأبدت موافقتها وهي تقول :

«بالطبع .»

فتحت باب السيارة ، بينما كان هو يثبت الحبل على الحصان ، ويمتطي السرج . وبدأت في تشغيل السيارة . كانت مهمة شاقة . وعندما بدأت السيارة تستعيد وضعها على الطريق الصحيح ، كان العرق يتصبب منها ، وما كادت المهمة تنتهي حتى سمعت صوت حوافر حصان على الطريق نظرت حولها باضطراب ولمحت شخصاً قادماً نحوها يمتطي حصاناً . كانت تظن في أول الأمر أن القادم صبي ، ولكن عندما اقترب تبينت أن الراكب فتاة . كانت صغيرة من الشعر البني المذهب تتدلى على أحد كتفها . توقفت الفتاة بفرسها الى جوارها ، ولم تكون دابون تتوقع أن تسمع صوتاً مألوفاً عندها . سألتها الفتاة :

«دابون ، دابون ، أنت ! يا للعجب ! ماذا تفعلين هنا ؟»



وحدقت دابون في دهشة في الفتاة ، وقد بدأت تظمنن الى البهجة في صوتها ، وقالت ببدا : .

لويزا : يا للساء ! لم أكد أعرفك . كنت طفلة عند ... عندما غادرت هذا المكان .  
وضحكت الفتاة بهرج :

«كنت في الرابعة عشرة يادابون . وعمرى الآن سبعة عشر عاما . ماذا تصلين هنا؟ هل أنت قادمة الى المزرعة لزيارة جدتي؟»

شعرت دابون بالدوار . كان اللقاء مع لويزا أمرا لم تستعد له . وكان حماس لويزا حقيقيا ، ولم تعرف دابون كيف تحببها .

ونظرت الى الحارس . وهو يمتطي صهوة جواده بعد أن قام بفك الحبل ، فشكرته وهي تفكر تبرير يمكن أن تعتذر به عن مقابلة جدة لويزا . وبينما كان الشيخ يمشي في طريقه ... تبهت الى شيء لفت نظرها بنسفة خاصة فيما قالته لويزا وسألت في دهشة :

«هل قلت جدتك . هل تعنين جيا؟»

واختفت الابتسامة من ثغر لويزا وهي تقول :

«من غير المعقول أن تنصربي دون أن تربيها .»

وهزت دابون رأسها في يأس . وقامت :

«لقد رأيت العربية . هزت كتفها . ثم قالت :

«لا تشغلي بالك . أنظري يالويزا . هذه ليست زيارة عائلية . وأشارت اشارة يائسة . ثم أضافت :»

«بالأكيد . إنك لست صغيرة الى حد لا تدركين فيه أن زيارتي لن تلقي الترحيب في المزرعة .»

وشهرت الكتأبة في عيني لويزا . وهي تقول بهزن :

«ان جدتي لا يزورها في الوقت الحاضر زوار كثيرون . لكن لماذا جئت اذن

يادابون ؟ كنت أظن أن مانويل ذهب لزيارتك في الليلة الماضية .»  
واغتاطت دابون . وسألت :

«هل تعلمين بذلك؟»

وهزت لويزا كتفها . وهي تقول :

«بالطبع عرفت صوتك من الهاتف . فأخبرت مانويل بأنك لابد أن تكوني هنا .»  
وضغطت دابون براحتيها على جانبيها . وسألت :

«وهل يعرف الجميع بهذا؟»

رفست لويزا الشجيرات العشبية على الأرض وهي تقول :

«لا . ليس كل شخص . أنا ومانويل فقط نعلم ذلك .»

وعضت دابون شفتها . وقالت :

«أخبريني يالويزا . هل ترك أبوك المزرعة؟»

وأجاب لويزا بصوت يدل على العرفان بالجميل :

«والذي توفي منذ عامين . والآن مانويل يحمل لقب رئيس الفرسان وهذه مزرعته وتلك ثيراته .»

وهزت دابون رأسها في دهشة . وقامت :

«لم أكن أتوقع . ثم أضافت :

«أذن . هل مازالت أمك تعيش مع مانويل؟»

وأومأت لويزا برأسها . وقالت :

«بالطبع . ومع ايفون .»

وردت دابون وكأنها قد أصيبت بطعنة مفاجئة :

«أه... نعم . ايفون .»

قالتا بتوتر وحدقت لويزا فيها لحظة وقالت :

«إنك تهدين أكثر نحافة يادابون . كيف تسير الأمور معك . أما زلت تشتغلين



بالتدريس؟»

وضمت دابون شفيتها ، وقالت بتجهم :

«أوه .. نعم ، مازلت أشتغل بالتدريس .

وأضافت :

«أنت - هل أتممت دراستك؟»

وأجابت لويزا أن مانويل يريد أن يرسلني الى مدرسة في سويسرا ، ولكنني لا أريد . أحب هذا المكان ، ولست مقتنعة بذلك لماذا يريد أخي أن يرسلني الى هناك؟»

واختلست النظر تجاه دابون ثم سألت :

«أنت طبعا تعرفين بالحادث الذي وقع لايفون؟»

وشدت الملاحظة انتباه دابون التي أنكرت معرفتها بالحادث ، وأخذت

تستفسر بسرعة :

«لا ، أي حادث؟»

وهزت لويزا كتفها ، وقالت :

«لقد جرحها أحد الثيران بقرنه وهي الان مصابة بالشلل من الخصر الى القدم .»

ولمست دابون في فزع . لقد نطقت لويزا بالنبا ببرود وعدم اكتراث

وكانت تنظر اليه على أنه دين على ايفون شاء القدر أن تؤديه هكذا .

وأطلقت دابون يديها ، وهي تقول :

«ولكن باللفظاعة ! متى ، متى وقع ذلك؟»

وهزت لويزا كتفها ثانية ، وهي تقول :

«بعد أن تركتينا مباشرة على ما أعتقد ، ولكن هل هذا شيء هام؟»

وعلمت دابون في فزع :

«ألا تعتقدين أنه كذلك؟»

وأخذت لويزا تعبت بمقود الحصان ، ثم قالت ببرود :

«لقد حصلت ايفون على كل شيء طلبته ، ثم تشاجرت مع مانويل وكانت

نظن انها تضايقه بمعاكستها ثيرانه.»

وهزت لويزا كتفها بطريقتها المعهودة ثم أضافت :

«هل يمكن للانسان أن يعيث مع الثيران؟»

وربتت لويزا على ذراعها برفق وهي تقول :

«بسعديان أراك مرة ثانية يا دابون . أؤكد لك ذلك ، ولكن لماذا تريدان رؤية

مانويل ؟ كنت أظن ، كنا نظن .»

ثم توقفت فجأة ، وهي تعض شفيتها ، وأضافت :

«هل تعتزمين الاقامة طويلا في كامارغ؟»

كانت دابون تعبت بأصابعها في افريز باب السيارة بلامبالاة وهي تقول :

«لا أعرف يا لويزا ، وهي تسأل :

«هل جئت الى هنا لرؤية مانويل؟»

وترددت دابون ، ثم أومأت برأسها موافقة :

«نعم أين هو؟»

وأجابت لويزا عابسة:

«في الواقع أنه في مكان بعيد اليوم ، عند أشجار الكروم.»

وحدثت في المرأة الأخرى للحظة ، ثم سألتها:

«ماذا حدث بينكما في الليلة الماضية؟»

واستفسرت دابون وهي تتجاهل كل شيء:

«ماذا تعنين؟»

وأكملت لويزا :

«بيبيك وبين أخي يا دابون إنك تعرفين ما أعني . لقد رجع الى البيت في حالة



سينة للغاية ، وحتى ايفون لم تستطع أن تسأله عن سبب غضبه . لقد فكرتُ في أنكما لا بد أن تشاجرتما .

وتقطب وجه دابون تعبيراً عن الاستياء ، وقالت :

«لا بد أن أنصرف بالويزا إذا لم يكن مانويل هنا ، أعني لا داعي لأن أذهب الى المزرعة.»  
وألحقت لويزا :

«وماذا عن جدتي ؟ هل أخبرها بأنني رأيتك ؟»

وجلس دابون في مقعدها خلف عجلة القيادة وهي تقول :

«ليس بوسعي أن أمنعك من ذلك ، ولكني أعتقد أن ذلك ربما يزيد الأمر سوءاً في هذه الظروف.»

وأطبقت لويزا أصابع يديها في قوة ، واستندت على مقدمة السيارة ، وقالت :

«لماذا أنت صامتة ؟ لماذا حضرت ثانية بعد كل هذا الوقت الطويل ؟ انك بالتأكيد تعرفين ما يعنيه حضورك الآن لـ مانويل في هذه الظروف ؟»  
وأدارت دابون محرك السيارة ، وهي تقول :

«انني أسفة يا لويزا إذا كنت تظنين أنني كتومة . كم كنت أتمنى أن أرى جيا .»

وتهدج صوتها ، وهزت رأسها ، وهي تقول :

«الى الملتقى .»

«الى الملتقى يادابون . وانتصبت لويزا ، ثم جرت لتلحق بها من جديد ، وهي تسأل :

«هل تسمحين لي بزيارتك في الفندق قبل أن ترحلي ؟»

وتشبثت دابون بعجلة القيادة وهي تجيب :

«لا أعتقد أن ذلك يكون مناسباً ثم»

ثم قالت :

«الى الملتقى .»

ثم قادت السيارة بسرعة ، وأنفاسها المحتبسة تكاد تخفقها.

www.mlazna.com

dalia cool



### ٣ - القمر يضيء النوافذ

صعدت دابون الى حجرتها بعد تناول طعام العشاء لتكتب رسالة الى كلارى . كانت بحاجة الى أن تشغل نفسها بشيء ما ينسيها مزرعة سان سلفادور وما يرتبط بها من ذكريات أليمة .

أحضرت دابون الورق والقلم ، ولكنها لم تستطع أن تكتب شيئا . بدأت الهواجس والأفكار تترى عن مانويل وعن اليأس من موقفه . كان مانويل في رأيا رجلا مكتمل الرجولة ، قويا ونشيطا ، ولكن هل صارت أيفسون تنفس عن غيظها وحنقها فيه ؟ أليكون ذلك هو السبب فيما بدا عليه انفعال أثر على قلب دابون ؟ أليكون ذلك هو السبب في ما ظهر فيه من الانهك والتعب ؟.. صارت دابون تتحسس وجهها بأصابعها ، وتضغط عليه وهي تأمل أن تزيع بعيدا تلك الدموع التي كانت تؤلم عينيها . ما كان لها أن تحضر الى هنا !

ونهضت دابون من مقعدها ، وأنفاسها تكاد تخنقها ، وسارت الى النافذة التي تطل على الميدان الهادئ . كانت الظلال تستطيل بينا الشمس تختفي وراء الأفق ، وأحست بأنها بحاجة الى الخروج من الفندق لتتحرر من حجرتها الصغيرة الضيقة .

واتجهت مباشرة الى باب الحجرة ، وهبطت الدرج ، وخرجت الى هواء المساء

اللطيف ! كانت تلبس عباءة بسيطة من الجرسية الأرجواني زادت من جمال الأشكال البنفسجية التي تحوطها من كل جانب . وكانت كلارى صنعت لها تلك العباءة في أمسية واحدة لتحضر بها حفلا من حفلات عيد الميلاد .

وما كادت تخرج خارج الفندق حتى وقفت حائرة في أي اتجاه تسير . كان الناس القليلون في الطريق يسرون جماعات من اثنين أو ثلاثة وكانت هي فقط التي تسير وحيدة . واتجهت نحو شارع السوق الرئيسي وهي تنوي أن تشرب فنجانا من القهوة في أحد المقاهي الصغيرة على الطريق .

واعترى دابون شيء من الاضطراب . كان الشارع مهجورا في ذلك المكان .

وخطت دابون بسرعة الى الخلف ، وقد أصابها الخوف ولكنها فوجئت بأنها تصطدم برجل وفي الحال تملكها الذعر ، واستدارت نحو الرجل ، وأخذت تسدد قبضة يديها الصغيرتين الى صدره وهي تعتقد أنه أحد الشبان ، ولكنه لم يكن شابا . لقد أزاح جسدها المرتعش جانبا . حينئذ فقط استدار الرجل اليها . كان طويل القامة ، نحيفا وعنيفا . وخارت ركبتها عندما اكتشفت من هو ذلك الرجل . أخذ مانويل ينظر اليها بازدياد الحظة ، ثم قال :

«أوه ، هيا ! أريد فقط أن أعرف ماذا كنت تفعلين في الشارع وحدك في هذا الوقت من المساء؟»

واستعادت دابون توازنها وهي تقول :

«أردت الخروج للتنزه . هذا كل ما حدث . ألا يمكن للانسان أن يخرج للتنزه؟» وبسطت يدها المرتعشة الى شعرها تزيح حمله الثقيل من على رقبتها وهي

تضيف :

«أ...أ... أشكرك على ما صنعت »



وأوماً مانويل ايماءة تدل على القلق ، ونظر اليها بما يشبه الغضب:  
«هذه ليست انكلترا يادابون».

وتوقف فجأة ، وصار يبحث في جيبه عن علبة السكاكر ، وأخرج واحدة منها  
وأشعلها بشيء من عدم الاكتراث ، وقال :  
«تعالى . جئت لأحدث معك»

نظرت اليه دابون بارتعاد ، وقالت :  
«لا بد أن لويزا أخبرتك بأنني كنت في المزرعة»  
وأخفى رأسه ، وسأل :

«ولم لا؟»

وضاقت عيناه ، وهو يقول : ولكنك لم تدخل إلى البيت !  
ورفعت دابون كتفها ، وهي تقول :  
«وكيف كان من الممكن أن يحدث ذلك؟»

وأخذ مانويل يتفحص وجهها البيضوي الساحب لحظة ، ثم مشى أمامها  
دون أن يعلق بشيء . واضطرت دابون أن تسير ورائه ، وهي تتعجب إلى أين  
سوف يأخذها.

ولم يطل بها التفكير ، فقد كانت هناك في الميدان المواجه للفندق سيارة ضخمة  
مغطاة بالتراب جعلت كل السيارات التي حولها تتضاءل إلى جوارها . كانت  
السيارة على هيئة حافلة.

وفتح مانويل باب السيارة الجانبى ، وهو يقول لها:  
«تفضلى»

«واستجابت دابون لأن رجلها لم تعودا قادرتين على حملها بعد ما عانته»  
تحركت الحافلة الثقيلة من حاجر الانتظار ، و دابون تريد أن تسأله عن

وجهته ولكنها كبحت رغبتها . كان يكفيها في تلك اللحظة أنها مع مانويل...  
واجتازا قرية فونتفيل الناعسة ، ولم يزل بالسيارة إلى جانب الطريق إلا بعد أن  
وصل إلى التلال المستقرة عند سفوح السلسلة الصخرية التي تعتبر ليبو  
بقلمتها الرمادية المتهاكة ، وأبراجها الأيلة للسقوط . وهنا توقفت السيارة .  
وسألها :

«حسنًا . ما الذي يدور في رأسك الآن؟»  
وهزت دابون رأسها بالنفي ، وهي تجيب :  
«لا شيء»

قالتها بصدق ، وهي تعجز في تلك اللحظة عن أي جواب آخر . كان قربه منها  
مؤرقا ، ومدت يدها لتحسس باب السيارة ، وفتحته وانسلت إلى الخارج وهي  
ترتجش قليلا ، وقد أحاط بها النسيم البارد . كان الجو هنا أكثر برودة من مدينة  
أرل . الريح تصفر بطريقة خفيفة عبر السهول ، وكانت منعشة مشبعة برائحة  
الملح.

وخرج مانويل من السيارة كذلك . وقفا لحظة يتأملان كتلة الجبال  
الصخرية السوداء وأضواء النجوم تتألق فتخترق السماء . ونظر اليها ، فتحوّلت  
رعشتها إلى خشية وتوجس.

وسألها بصوت مخنق :

«لماذا جئت إلى ؟ لماذا اضطرت إلى أن تعودي هنا الآن ؟ ولعل عيناك بطريقة  
غريبة ، فخطت بعيدا عنه وقدماها تنزلقان على الطريق غير المستوي ، وهي  
تقول بصوت هادئ:

«أنت تعرف لماذا»

ورمقته دابون وهي تقول :



«لانتصعب الأمور الى هذا الحد . ثم قالت بيّاس :

«ألم تكن مستعدا في يوم من الأيام أن تقدم لي النقود؟»

«ماذا تقصدين بهذا الكلام؟»

وهزت دابون رأسها . وهي تقول :

«هل بهم؟»

ورفت بقدمها حجرا على الأرض بشدة . وسألت :

«لماذا أحضرتني الى هنا ؟ ولماذا رجعت الى اليوم ؟ هل تنوي أن تساعدني؟»

وحدق فيها مانويل بقلق . ثم مد يده الى شعره الكثيف الأسمر وهو يقول :

«لقد جئت لأن معي لك دعوة».

قالها وهو يتمتم بتجهم :

«أن جيا تريد أن تراك!»

«ماذا ؟ ولكن ، كيف عرفت جيا أنني هنا؟»

واقتمت عيناه . وهو يقول :

«كيف تعرف جيا أي شيء؟ أوه ... يالله . أعتقد أن لويزا أخبرتها . ولكن

هل هذا بهم ؟ هل تقبلين الدعوة؟»

وتنفس دابون بعمق . وهي تجيب :

«أعتقد . أعتقد لا . ان أملك لا تريدني هناك . وما الفائدة اذن ؟ فضلا عن أن زوجتك .»

وأمسك مانويل بمعصمها بطريقة قاسية . وهو يقول :

«زوجتي ؟ أية زوجة ؟ ليس لي زوجة بعد!»

«لويزا هي التي أخبرتني عن ايفون وعن الحادث . وهي قالت ان ايفون

تعيش معكم في المزرعة».

ونظر مانويل الى أسفل . ثم تجاهها محملا بأعين باردة متفحصة:

«ان ايفون تعيش فعلا بالمزرعة . انها مسكينة . كسيحة ماتت أمها . أين كان

يمكن لها أن تعيش اذن ؟ ولكنها ليست زوجتي؟»

وارتجفت دابون وهي تهز رأسها من جانب الى آخر . بينما قبضته تشتد على

معصمها . ثم أخذت تنن بصوت خافت :

«معصمي . معصمي . أنك تكسر معصمي!»

ونظر مانويل الى أسفل . الى البشرة التي يتحول لونها الى الأرجواني في

يده وهو يكاد يشعر بدوار ثم قال :

«يالله ! انني أسف يا دابون»

قالها بصوت أجش . ورفع يده عن معصمها لكي يتفحص أثار الألم .

وصارت يدها تقاوم يده . وكأنها طائر صغير . وبلهثة معذبة بدأت تسحب نفسها

بعيدا عنه . وجعلت السيارة بينها وبينه . ومسحت بيدها على وجهها وكأنها تزيل

الخطر بعيدا عنها.

وجلس مانويل أمام عجلة القيادة دون أن ينظر تجاهها . وخطت دابون

خطوات قليلة مرتعشة أوصلتها الى السيارة . وجلست في مقعدها.

كان صوته يتوتر بسرعة :

«إذا وافقت على أن تحضري الى المزرعة لترى جيا فسوف أعطيك النقود التي

تحتاجين اليها للغرض الذي تحتفظين به سرا».

وتنفس دابون نفسا متقطعا :

«لا يمكن أن تكون جادا !»

وأجاب :



«ولم لا؟»

وتحركت دابون بوهن ، وصوتها يتضائل بانساً :

«أن ذلك يخلق المتاعب . أنت تعرف أن أملك تكرهني . وأما عن ايفون ...»

والتفت تجاهها وعيناه تومضان داخل هيكل السيارة المظلل ، وعلق ببرود :

«أنتك تتحدثني بالإشارة إلى أمي و ايفون .»

وضغطت دابون بيدها على معدتها ، وهي تقول :

«لا يمكن أن تكون قاسياً إلى هذا الحد ! وهز كتفيه العريضتين ، وهو يرد »

«لا يمكن أن أكون ؟ سوف تتدهشين لما يمكن أن أفعله .»

وناشدته بأعين مضيفة :

«أرجوك ياسانويل ان ماتفعله لايسبب غير الألم والمعاناة لكل شخص ، وأنت

لا تريد ذلك بالتأكيد .»

وأشعل الضوء الداخلي للسيارة فجأة ... فأضاء الخطوط الدقيقة لوجهها المغم

بالجهاز وهو يقول :

«ولم لا ؟ ربما يكون ذلك من باب التسلية؟»

لم تحاول دابون أن تتكلم وبعد قليل سألتها :

«قولي لي ... هل هذا الرجل الذي تحتاجين إلى النقود من أجله ، يحبك؟»

نظقت دابون لاهثة :

«ليس هناك رجل ما.»

وأصبحت عينها سانويل تنطقان بالشك :

«أذن فأنت تحتاجين إلى هذه النقود لنفسك؟»

قالت دابون بهرجل :

«نعم!»

وأخذ يسأل :

«لماذا ؟ لأي سبب ؟ أنت تقولين أنك لست حاملاً ، ولست في مشكلة من هذا

النوع ... إذن ما السبب؟»

تهدج صوتها ، وهي تقول :

«أوه سانويل ! أرجوك كلف عن تعذيبني هكذا.»

وبدأت تمرر أصابعها عبر وجنتيها تسح بعيداً الدموع التي تبلل وجهها.

وأطبق سانويل فمه وأطفأ ضوء السيارة ، وأدار المحرك دون أن يتفوه بكلمة

أخرى.

وعادا بالسيارة إلى الفندق ، وقد أطبق عليها الصمت . وعندما توقفت

السيارة أمام باب الفندق قطعته دابون ذلك الصمت ، فقد كان عليها أن

تقول شيئاً ، وكانت تعرف أنه يفكر في المأزق الذي يعاني منه بالقدر الذي

يعاني هي منه.

وسألته بصوت غير مستقر :

«ما الذي تقري أن تفعله؟»

والتوت شفتا سانويل وهو يجيب :

«أن ذلك يتوقف عليك أنت ، أليس كذلك ؟»

وأخذت دابون تسوى من شعرها وهي تقول :

«أنت مصر على أن تنفذ ماقلت ؟ أنت تضطرنني إلى قبول فكرة الذهاب إلى

المزرعة.»

كان يجلس على مقعده باسترخاء ، وأصابعه النحيفة تنقر نغمة على عجلة

القيادة ، وهو يرد :

«إن كنت تريدين مساعدتي ... نعم.»



وحديث دابون كنتفيها ، وهي تقول :

«حسنا جدا . اذن ، متى ؟»

وضاقت عيناه وهو يسأل :

«سوف تأتين ؟»

وتفرست في وجهه ، وهي تقول :

«هل لي من خيار آخر؟»

فقال بهدوء :

«لا يبدو ذلك . لا بد أنك بحاجة ماسة الى هذه النقود . يادابون ، انني لا أصدق أنك تحتاجين هذه النقود لنفسك . لاشك أن هناك أسبابا أخرى.»

وفتحت دابون باب السيارة ، وهي تقول

«هل لي أن أنصرف الآن؟»

وحقق فيها وهو يقول :

«لحظة ! سوف أحضر اليك بعد غد لانني سأذهب الى نيمز غدا ، ولكنك بلا شك تستطيعين الانتظار لانك مهتمة بالأمر.»

وفتحت باب السيارة ، وانسلت منها قبل أن يتفوه بشيء آخر ، وانحنى ليقفل الباب وراءها . ودخلت دابون الفندق متباطئة وهي تشعر بالانهاك . كانت مشغولة بعواطفها الكثيرة وتفكر بروح يائسة كيف تمضي اليومين المقبلين حتى تراه من جديد.

ولم يكن اليوم التالي مملا . كانت شمس الربيع دافئة ، والشجيرات مزهرة ، وأحواض الأزهار مزدهرة بالألوان ... وتحسنت حالة دابون الى حد ما.

وكتبت دابون رسالة الى كلاري وخرجت لتضعها في صندوق البريد . وذكرت في رسالتها انها قد اتصلت بمانويل وأنها تتوقع بعض الأخبار المطمئنة

خلال أيام قليلة ، ولم تزد على ذلك . لم تستطع أن تخبر كلاري أن مانويل لم يعرف شيئا عن حقيقة الموضوع ، أو أنها لا تنوي أن تخبره بتلك الحقيقة . كانت تعتقد أن مانويل لو حصل على دليل ثابت بأن طفلا اسمه جوناثان كان قد ظهر الى الوجود ، فانه قد يجد سعادة بالغة في أن يحرم أمه منه . أما كون جوناثان هذا ابنه فلم يكن موضوعاً ذا بال ، ومع ذلك فان صوت ضميرها كان يناديه بأن مانويل ينبغي أن يعرف الحقيقة ، وخاصة في مثل هذه الظروف .

كان هناك زائر غير متوقع ينتظرها عندما عادت الى الفندق . أحست بنوع من الارتياح عندما رأت وجه هنري مارتن الذي كان يعكس الهدوء والطمأنينة . كان يجلس في قاعة الاستقبال منتظراً وصولها ، وبدأ على وجهه شعور بالقلق عندما رآها تعبر الردهة تجاه الدرج . أربكها صوته الفجائي ، وهو ينادي :

«يانسة كنج !»

فاستدارت في دهشة وأجابت :

«اهلا ياسيد مارتن . ماذا تفعل هنا؟»

ومد هنري مارتن يديه وهو يقول :

«جئت لأكون في مرافقتك ، ولنتناول طعام الغداء سويا . وأعترف أنني قد تجرأت بقدومي الى هنا ، ولكنني اعتقد أنك ستسامحيني.»

وأجابه :

«هذا لطف منك للغاية ياسيد مارتن . أود ان أقبل دعوتك لو كان لي ذلك ، ولكن سيكون عليك أن تنتظر بضع لحظات حتى أغير ثيابي.»

وأشارت الى بنطلونها وقميصها .

وعكس وجه هنري مارتن فرحاً كبيراً . كانت تراه شابا وسيا دون أي اعتبار



آخر، وكان يبدلته الرمادية الغالية، وملابسه البيضاء الناصعة شاباً فريداً في تلك البقعة من العالم، حيث كان الباقون يلبسون الملابس العادية نفسها التي كان يلبسها مانويل سان سلفادور في الليلة الماضية، ولكن مانويل كان يبدو ملائماً لذلك النوع من الثياب. ورغم أنها في بعض المناسبات القليلة كانت تراه يلبس لباس المساء الرسمي فإن منظره عند ذاك كان يبدو مدمراً. كانت فتاة بشرته التي ورثها عن جدته تجعله قريب الشبه بالفجر، وكانت ثلاثه ملابس الحراس التي يرتديها أحياناً.

وأجاب هنري مؤكداً:

«سأكون سعيداً أن أنتظر حتى تعودي.»

وتبادلت دابون معه الابتسام قبل أن تصعد بسرعة إلى غرفتها. وعادت في رداء من الكتان له خضرة التفاح، تبدو فيه أكثر شباباً وسعادة لأن تصفيفة شعرها كانت شيئاً عادياً لم تحول انتباهه إليها.

وتناولوا طعام الغداء في مطعم كبير في مركز مدينة آرل، وبدأ أن هنري كان رجلاً معروفاً في المدينة. صممت دابون لحظة تفكيرها عسى أن يكون عمل هنري. ورغم أن دابون كانت ترفض الاكثار من الطلبات بحجة أنها لا تشعر بجوع كبير، فقد أكلت بشهية كاملة. كانت صغيرة وشابة ورغم كل شيء، وكانت صعبة هنري بريئة إذا ما قورنت بصحبة مانويل.

وأحست دابون بالزهو لأنه اهتم بها ذلك الاهتمام الكبير.

ولم تتحدث دابون كثيراً عن نفسها. وترك هنري يعتقد أنها كانت في آرل من أجل السياحة فقط، ولكن تبين لها مع انقضاء اليوم أن الاحتمال كبير في أن هنري ربما يعرف مانويل وأسرته. كانت مزرعة سان سلفادور مؤسسة كبيرة معروفة، وليس بعيداً أن مزارع الكروم في وادي الرون تعرض

انتاجها في متاجر والد هنري.

وبدا أن دابون لم تكن تبالي سواء عرف مانويل بعلاقتها بهنري أم عرف هنري بالأسباب الحقيقية وراء زيارتها لآرل. كل ما كانت تفكر فيه أنها كانت تستمتع بهذه الصحبة. لم تكن قد استمتعت بصحبة أي رجل بذلك القدر من الحرية منذ سنين، ولكن هنري كان رقيقاً وساحراً بدرجة جعلتها ترتاح إليه وتتدمج معه في الحديث. وتحدثا حول الكتب وحول اللوحات الفنية، وحول الاتجاهات الحديثة في المسرح وذهلت عندما أخبرها بأن الساعة قد قاربت الخامسة.

وقفلا عائدتين إلى آرل في سيارة هنري الخفيفة. وعندما توقفت السيارة أمام الفندق سألتها بحماس:

«متى سأراك مرة أخرى؟ هذا المساء؟»

وثنت دابون عروة من الشريط الجلدي المثبت في حقيبة يدها الجلدية حول أصابعها وأجابته متباطئة:

«لا! ليس الليلة يا هنري وليس غداً كذلك... فأنا مرتبطة بموعد.»

وفقد وجه هنري بعض حيويته، وسألها:

«متى إذن؟»

وتنهدت دابون. كيف يتسنى لها أن ترتبط وهي لا تعلم كم من الوقت ستبقى هنا؟ وترددت، وهي تقترح:

«الأفضل أن تتصل بي بالهاتف. نعم، أعتقد أن ذلك يكون أنسب.»

وحذب هنري كتفيه، وهو يقول:

«أوه! حسناً جداً إذا كنت تعتقدين أن ذلك هو الأنسب، ولكن سوف تحضرين لتجيبني الهاتف، أليس كذلك؟»



وانفجرت شفتاها ، وهي تقول :

«لقد استمتعت كثيرا بهذا المساء . أرجوك ألا تظن أنني أصطنع الأعذار . انني لأفعل ذلك»

وبدا على هنري شيء من الارتياح ، وعلق :

«حسنا ... حسنا... سوف أطلبك هاتفيا . بعد غد . هل توافقين؟»

وأومأت برأسها موافقة ، ثم انسلت من السيارة وحيته بسرعة :  
«الى اللقاء»

ورد عليها بالفرنسية ، وهو يرفع يده :

«الى اللقاء يادابون.»

وانطلقت السيارة الخفيفة وصوت محركها ينز عبر الطريق .

وألقت دابون بحقيبة يدها باهمال ، وتعددت في حجرتها.

وخلعت ملابسها ، وأخذت حماما ملطفا ، ولبست ازارا حريريا وتمددت في فراشها . كانت تحس بالتعب وكان ذلك شيئا طبيعيا . لم تهنا بالنوم منذ أن وصلت الى الفندق . كان عقلها مهموما بدرجة لم تتح لها أن تهنا باسترخاء كامل ، ولكن هواء البحر في تلك الأمسية جعلها تشعر بالنعاس . أغلقت عينيها على مضض مستسلمة لما عانته من اجهاد.

وذهبت في نوم عميق ، وعندما استيقظت كان الظلام كاملا ، وأحست بالبرد ونهضت من الفراش تبحث عن ساعة يدها ، ووجدتها أمام المرأة حيث تركتها قبل أن تدخل الحمام . انزعجت بعض الشيء عندما وجدت أن عقارب الساعة تشير الى منتصف الليل ، وهزت رأسها ، وهي لا تكاد تصدق.

وفتحت باب حجرة نومها ، وصارت تسترق السمع لحظة . لم يكن هناك صوت ما في الطابق الأرضي . وهزت كتفها ، وأغلقت باب الحجرة وقررت أن

تعود الى الفراش من جديد . لم يكن هناك سبيل الى الخروج الآن.

وما كادت تتدثر بالفراش حتى أحست بأن النوم قد هرب من جفونها . كانت أشعة القمر تضيء من خلال النوافذ ، وقد غمرت الحجرة بالضياء بينما كان صوت أوتار الغيتار ناعسة يأتي من بعيد بموسيقى حزينة تشبه المشاعر . ونهضت من الفراش ، وهي تتنده قليلا ، واتكأت على النافذة ، تطل على الميدان المغطى بالظلال .

كانت النسمات الخفيفة تداعب أوراق أشجار البلانترى وأشعة القمر تحيل جذوعها الى أطياف رمادية اللون.

كانت هناك سيارة كبيرة تنتظر في الميدان رمادية اللون مغيرة على هيئة حافلة وكانت تستتر تحت بعض الأشجار . وبينما دابون تراقب ذلك المنظر ، وجدت رجلا ينسلخ عن ظلال الأشجار . كان طويلا أسمر ، شعره يتلألأ في الضوء الباهت ، يلبس ملابس قائمة ، ملابس حارس . وكانت صدرته مفتوحة وأكمام قميصه مثنية حتى ساعديه . ونظر فجأة الى أعلى وعيناه تنفحصان نوافذ الفندق . وارتعدت دابون وتراجعت لتستند الى الحائط واحدى يديها تضغط على حلقها . كان الرجل هو مانويل ! مانويل هنا ، خارج الفندق يقطع الطريق جيئة وذهابا.

ثم عادت النظر . كان الرجل يستند الى غطاء محرك السيارة الآن وهو يشعل سيكارا ، وعود الثقاب يضيء للحظة ملامح وجهه القاسي وترك السيكار في فمه وأراح كفيه على مقدمة المركبة المغطاة بالغبار وقد انحنت كتفاه بما ينبىء عن الاستسلام التام.

وحبست دابون أنفاسها ، وتصلب حلقها . لماذا هو هنا في هذا الوقت من الليل؟ ما الذي جعله يغامر للحضور بسيارته هذه المسافة الطويلة . فقط من



أجل أن ينتظر بالسيارة خارج الفندق؟ ما الدوافع الرهيبة التي جعلته ينهض من فراشه. ويأتي الى هذا الميدان الموحش؟

وضغطت ذراعها الى جسدها وهي تشعر بدوار يشبه دوار البحر. وأخذت تسائل نفسها «ما الذي جعلها تنام مبكرة في تلك الأمسية، ولماذا لم تنم في الوقت المعتاد وبذلك كانت قد وفرت على نفسها منظرا لا تود أن تراه؟»

ورجعت الى النافذة، ونظرت بسرعة بعين طارفة. لقد مضت الحافلة. كان الميدان خاليا. وكانت هي غارقة في تفكيرها لدرجة أنها لم تنتبه لصوت السيارة وهي تنصرف.

## ٤ - لماذا تعدو الفرس نحو الاكواخ؟

وفي الصباح التالي استيقظت دابون في وقت مبكر. وشربت القهوة في قاعة الطعام قبل أن يستيقظ سائر نزلاء الفندق. كانت شاردة الذهن ويبدو عليها الانفعال. وأصبح من العسير عليها أن تبقى في الفراش. وارتدت رداء قطنيا بسيطاً أزرق اللون كانت قد أمضت به من قبل أياماً أكثر سعادة. وكان هذا الرداء في رأيها هو الأنسب لزيارة بيت سان سلفادور. وكانت في قرارة نفسها لو ألا يحظر ببال ايفون أو مدام سلفادور أنها تحرص ولو قليلاً على أن لا يجذب الاهتمام اليها، ولم تكن تدري أنها تبدو غاية في الأناقة رغم بساطة اللبس.

واقترب منها السيد ليون مدير الفندق يستفسر بطريقة تنم عن عنايته بالنزلاء:

«هل ثمة ما يشغلك يا آنسة؟»

وأجابته باستنكار:

«لا، لا، لا شيء يا سيد ليون. انني فقط أنتظر شخصا ما.»

لم سأل:

«هل أحضر لك فتجاناً من القهوة؟»



وترددت دابون بعضى الشيء ، ثم قالت بحماس :  
« حسنا ، لأبأس اذن . »

كانت تريد شيئا يهدى أعصابها .

ورد السيد ليون :

« سأعدها في الحال . »

وابتسمت دابون وهي تقول :

« شكراً »

، وانصرف المدير مسرعاً ، وعاد بعد دقائق قليلة يحمل الصينية ، وأشار الى دابون لتجلس في قاعة الانتظار ، ودخلتها ، ثم وضع الصينية على منضدة صغيرة أمامها .

قال بالفرنسية :

« ها هي القهوة يا آنسة . »

ونظرت اليه نظرة مرتعشة ، وقعت عينها على عيني مانويل الرماديتين ، وخفق قلبها لحظة ، بينما أخذ فنجانها يحدث صوتاً فوق الطبق الصغير .

وتقدم مانويل الى داخل القاعة ، وهو يقول ها أنذا ! هل أنت مستعدة ؟

وتنفست بعمق وقالت :

« أو تعلم أن الساعة قد قاربت الحادية عشرة ؟ »

وهز كتفيه ، وهو يقول :

« ماذا حدث »

وردت دابون بقسوة :

« لقد ظلمت أنتظرك منذ التاسعة . كنت أظن أنك ستأخذني الى بيت الأسرة هذا الصباح . »

ورد بغير اكتراث للدرجة تثير الحنق :

« اننى أعترم ذلك . »

وعلقت :

« ولكن الوقت قد قارب الظهيرة . »

وأجابها :

« هكذا ؟ اذن سنتناول الغذاء عندنا في البيت ؟ »

وبدت شفتاها ترتعشان ، وكان عليها أن تكز عليها بقوة :

« أوه مانويل لاتضطرنى الى هذا »

وبدت ملامحه قاسية ، وهو يتجاهل رجاءها قائلاً :

« أفتتح أن تصعدى لتغيير ملابسك فرداؤك لا يناسب ما أعدته لك . أرجو أن يلبس بنطلونا »

ونهضت دابون وقد بدأت تلاحظ كم كان يبدو جذاباً . كان يلبس بنطلونا جلدياً رمادى اللون ، وصدرية رمادية من الجلد مطرزة بخيط أسود فوق قميص من الحرير الأحمر فبدا كأحد النبلاء الفرنسيين . كان هناك شيء من العجرفة في ملامح وجهه القوية ونوع من الكبرياء في بزائه القصيرة ، ولم يكن هنري بهذه الأنيقة المحددة قادراً على أن يحدث ذلك التأثير . وشعرت أن خصوصيتها تدوب تحت سطوة شخصيته القوية المؤثرة .

كان مانويل يستعد ليرتشف الفئجان الثانى من القهوة ، وكان مدير الفندق يتجاذب معه الحديث في احترام . كانت دابون قد كبحت جماح غضبها وهي تتأمل مانويل الذي يبدو عليه شيء من الهنؤ وهو جالس هكذا يرتشف القهوة الخاصة بها ، بينما أمرها بأن تذهب لتغير ملابسها .

وعندما عادت الى قاعة الانتظار التفت اليها مدير الفندق ذو الجسم الصغير

اللا

« يا سيدي سان سلفادور أنك ذاهبة الى مزرعته اليوم يا آنسة . اننى واثق



من أنها ستكون زيارة ممتعة.

وأجابت دابون بنبرة من عدم الثقة :

«نعم»

وعندما دخلت نهض مانويل ، وكان يلاحظها بعينين مسلطتين تركيزاً عليها لحظة ، ثم أكمل قهوته ، وأعد الفنجان فوق طبقه الصغير ومشى إليها ، وأبدى ملاحظة الاستحسان لثيابها وهو يقول :

«هكذا ... أحسن بكثير»

وكان هناك حصانان ينتظران بجوار الحاجز الخشبي الخارجي للفندق ، ولم يكن هناك أثر للسيارة الستروين ونظرت الى مانويل بشيء من الاستفسار والتسؤل ، وأخى رأسه متباطئاً وسأها بشيء من التراخي :

«هل خيبت ظنك ؟ أكنت تودين أن تركبي الخافلة الصغيرة؟»

وأجابت دابون بقسوة :

«أنت تعرف أنني كنت أريد ذلك . مضى وقت طويل منذ ركبت الحصان لآخر مرة»

وعلق مانويل مؤكداً :

«ثلاث سنوات تماماً»

فنظرت بعيداً ، لم يكن الحصانان متشابهين . كان أحدهما فرساً بيضاء من خيل كامارغ .... كانت قصيرة وممتلئة وكانت الأخرى فرساً سوداء مشوبة بالحمرة . ولم تكن دابون بحاجة الى أن تفكر طويلاً لتستنتج أن هذه الأخيرة كانت من السلالة التي يفضلها مانويل في الركوب . منذ ثلاث سنوات كان لديه فحل أسود . وبدأ مانويل يتحدث وكأنه قد أدرك السؤال الذي كان يساورها :

هذه كونسيلو . كان كاسبار الذي رأيت من قبل أباه.

ولم تعلق دابون بشيء . وأخذ مانويل يحل سير اللجام للفرس البيضاء ، وصار يربت على مقدمة الحصان وهو يقول :

«هذه ميلودي»

ومد يده ليساعدها على أن تمتطي صهوة هذه الفرس .

ولكن دابون كانت حريصة على ألا تمس يدها يده ، وأمسكت هي بمقعد السرج ورفعت نفسها دون مساعدة على ظهر الفرس ، وأخذ مانويل يتأمل رشاقته في القفز ثم هز كتفيه كعادته وامتطى فرسته السوداء بمهارة وقدرة .

ومضت الفرسان دون أن يحفل بهما أحد ، سائرين في شارع ظليل تحف بهما الأشجار من الجانبين . ثم سأها بسخريّة :

«حسناً ؟ هل تجدين صعوبة ما؟»

وهزت دابون رأسها :

«لا صعوبة على الإطلاق»

ومالت عيناه بتهكم ، وهو يقول :

«حسناً أذن ربما تسرعين في الركوب لتلحقني بي . لست ممن يشترطون أن تسير تساوهم وراءهم كالأتباع»

وأشارت دابون بالموافقة ، وبدأت تستحث ميلودي لتجد في السير ثم

نظر إليها مانويل بقلق ، وهو يقول :

«أتظنين انه يمكننا أن نزيد في السرعة؟»

واستدارت تنظر اليه . كان قد سمح لكونسيلو أن تسير ببطء وراءها . ولكنه الآن ، بعد أن قابلت عيناه عينيها ، بدأ عمد يحث الفرس السوداء على أن تجد في السير وقفز بسرعة عبر المستنقع ماراً بدابون الى البحيرة الضحلة ، القريبة .

وترددت دابون لحظة قصيرة ثم ثنت رأسها تجاه ميلودي تحثها الجري



الى الامام. وقفزت الفرس الصغيرة بطريقة مذهشة في اثر الفرس الأخرى القوية. كانت تجربة مثيرة أن تقفز عبر مساحة كأنها فضاء لانهاى ، دون أن يكون هناك أى أثر للحياة على مرأى البصر.

وبدا على البعد قطع من البهائم السوداء، وكان هو الرفقة الوحيدة لهم على الطريق في ذلك الوقت ، ولم يكن هذا القطيع ليحفل بهم. وانتشر بعض رذاذ الماء المالح الى أعلا ، فبلغ وجه دابون وبلل ذراعها وشعرت بالسرور لأنها لبست جذاً طويلاً برقبة كان يحمي ساقها من البلل.

وبدأت الفرسان تبطنان السير عندما دخلتا الى مستنقع أكثر عمقا، وصارتا تخوضان في مياهه دون أن تبديا أى اكتراث بالراكبين فوق ظهرهما وخطر لدابون أن ترفع ساقها الى أعلى لتتفادى البلل، ولكن مانويل لم يفعل ذلك. فقررت أن تحذو حذوه، اذ كانت تحشى أن تفقد توازنها وتسقط في البحيرة. وأبطأ مانويل فرسه ، واستدار لينظر الى وجهها المغمم بالبهجة، وانحنى لوصول من ركاب فرسه انتظارا لوصولها الى جانبه ، وسألها:

«هل لازلت تشعرين باليأس؟»

وهزت دابون رأسها ، وهى عاجزة عن أن تخفى سرورها بالصباح الجميل ونظر اليها مانويل لحظة متفحصا. وقبل أن يمد يده ويتحسس جيبه ليجث عن السيكاة. أخرج واحدة ثم أشعلها . وقال:

«أمل ألا تكونى قد صادفت كثيرا من المتاعب؟»

وضاقت عيناه أمام وهج الشمس الذى ينعكس على صفحة الماء ، ونظر اليها من جديد نظرة خاطفة واضاف:

«هل تشعرين بأى تعب؟»

وهزت دابون رأسها من جديد:

«هيا لى أن جسمي لن يستطيع التحرك غدا ، ولكن ...»

وتنفست بعمق ثم تنهدت وهى تكمل:

«ان كل شئ جميل للغاية . لم أجد وقتا للتفكير في نفسي .»

وأخذ مانويل يشد أنفاس السيكاة بقوة . وهو يرسل زفرات الدخان الأزرق الباهت عاليا في الهواء ، فوق رأسها ، ثم سألها بحدّة:

«لماذا فعلت كل هذا يا دابون؟»

وحبست دابون أنفاسها:

«لماذا؟ لماذا فعلت ماذا؟»

وأجاب:

«لماذا سافرت بعيدا دون أن تخبريني على الأقل بأنك ماضية؟ أما كان ينبغي لى أن أعرف؟»

ونظرت عيناه اليها نظرة خاطفة أربكت دابون. كانت قد أحست بالأمان لأول مرة منذ أن وصلت الى كامارغ . وجاءت تلك الجملة من مانويل بطريقة حاذقة ولكنها صريحة ، لتدمر شعورها بالأمان الذى أحست به . حاولت

أن تجدد كلمات ترد بها عليه ، وقالت بتوتر:

«لا شك أن أمك قد شرحت لك كل شئ.»

ورد مانويل بسرعة:

«أنا لا أتحدث عن أمي . أنتي أتحدث عنك أنت ! أريد أن أعرف لماذا تحاولين أن تسخري مني . أريد أن أعرف خطأي . لماذا بعد ما حدث بيننا في تلك الليلة الأخيرة حاولت....»

وأمسك مانويل بلبجام فرسها ، وكانت على وشك أن تستحث ميلودى على

السير ، وهو يقول:

«لا، لا . أنتي أوافق على أنه لاشئ يستطيع أن يغير ماضي ، ولكن أريد أن أعرف لماذا وافقت على أن تشاركي في الطقوس ، وكنت تعرفين بالضرورة ...»



وحاولت أن تسحب اللجام من قبضته ، وأن تزيع أصابعه بعيدا ولكنها بدلا من ذلك وجدت أصابعها تقع أسيرة بين أصابعه ، وأحست أن بشرته الرطبة وهي تلامس بشرتها الساخنة كانت قوة حقيقية بل شرارة شديدة الحساسية تشدها بعضها الى بعض في جولم يكن فيه سوى الشمس ، والماء والسما .  
ونطق باسمها :

«دابون»

وأثارها اللجام صوته بشكل رهيب ، وعيناه تأسراهما بنظرة اخترقت أعماقها .  
توقفت أنفاسها .

وبقوة استطاعت أن تنتزع أصابعها من قبضته ، ووخزت ميلودي بمؤخرة قدميها ، فأحاجتها . وانطلقت الفرس مندفة خارج مياه البحيرة العميقة الساكنة .  
وعندما اصطدمت حوافرها بالأرض بدأت تجري مسرعة ، وصارت دابون تتعلق يائسة بعرف الفرس الكث .

وقبل أن يستولي عليها الفرع الحقيقي ، كانت الفرس السوداء بجانبها .  
واستطاع مانويل أن يمد ذراعه ويمسك بلجام فرسها بقوة . وبدأت ميلودي تستجيب لقوة الجذب المتزايدة ، وأخذت تبطئ من سرعتها ، واستطاع مانويل أن يوقف الفرسين . وعندئذ فقط بدأت دابون ترتعش ، لاسبب ماكاد يحدث لها على ظهر الفرس فقط ، وإنما من النظرة التي كان يرمقها بها مانويل .

وترجل من على سرجه ، وظنت دابون للحظة أنه ينوي أن يشدها بالقوة الى أسفل ولكنه اتجه الى الفرس التي كانت تنصب عرقا . وبدأ يهدئها بكلمات لطيفة وهو يربت على مقدمة رأسها حتى خضعت وبدأت تمرغ أنفها في يده .  
وترك مانويل الفرس البيضاء ، وبدأ يربت بيده على خاصرة كونسيلو . ثم قفز ثانية الى السرج ونظر الى دابون ، وهو يقول :

«لو أنك تسببت في أحداث عرج بالفرس»  
وترك الجملة معلقة في الهواء دون أن يكملها .  
وأحكمت دابون قبضتها على اللجام ، وهي تقول :

«نعم ؟ ماذا كنت تفعل ؟»

«التوت شفتاه ، وهو يقول :

«أعتقد أنك تعرفين .»

وارتعشت دابون ، وقد استولى عليها شعور الغضب ، ثم انطلقت بطريقة طفولية غير مكرثة :

«أناك تعتقد أن قوتك شيء عظيم . أليس كذلك ؟»

وهز مانويل كتفيه ، ويده تمسك شعره الكثيف المليء بالحوية لتستقر أخيرا على مؤخرة رقبته ، وقال لها بلهجة متسامحة تحمل معنى النصيح :

«لا تتصورني أنني صبور الى هذا الحد .»

وزاد من حنقها أنه كان يؤكد على أنها كانت مخطئة .

ولوح بلجام لوكسيلو فاستدارت الفرس السوداء طائفة ، ولم تقم دابون بأية محاولة لتساعد ميلودي ، ولكنها بدلا من ذلك ظلت جالسة في سكون تحديق في الفضاء بنظرة تنم عن الرفض والعناد .

وسأها وحواجبه السوداء ترتفع بشيء من التهكم :

«هل تحبين أن أقوم بتثبيت اللجام في فرسي لأقودك على الطريق ؟»

«لن يكون ذلك ضروريا»

وهز مانويل كتفيه ، وضغط بمؤخرة قدميه على الفرس ، وبدأ يجري بعيدا عنها وتبعته دابون على نحو أكثر بطئا ، وجعلت الفرس تسير خلال البرك التي تغص بالقصب وهي تلاحظ ادغالا من نبات حصي البان البري يفوح عطره مختلطا مع عطر نبات العرعر الأكثر نفاذا . كان كل شيء نائبا وجيلا ، ومع ذلك



لم تكن تستطيع أن تحصر تفكيرها فيما يحيط بها. فخلال دقائق قليلة مضت كان الشعور بالأمان قد تحطم وصارت تدرك تماما كنة الرجل الذي يرافقها على بعد مسافة قليلة منها. كان قويا ومتغطرسا على ظهر فرسه ولم يكن شابا متقدما بحب الحياة، لكنه كان صلبا ويجريا، وكان يحس بأنه السيد على ماحوله.

كان الكوخ شبيها بالاكواخ التي يسكنها الحراس العاملون في مزرعة سان سلفادور. ولو أن هذه الآن كانت تعتبر أرقى بكثير من الأكواخ القديمة ذات الحجرة الواحدة التي كانت تصنع من القصب..

وعندما وصل مانويل الى الأرض الساحة الممتدة أمام الكوخ ترجل وصار يربت على رقبة كونسيلو، ثم أخذ يبسط قامته ببطء ورشاقة، والتفت الى دابون التي كانت قد وصلت الى المكان نفسه، وقال لها:

«ترجلي! أنتي أشعر بالعطش. أعتقد أن كليتنا محتاج الى شيء من الراحة.»

وبقيت دابون في مكانها، ووضع مانويل يديه بشيء من الغطرسة على فخذه وسأها بتجهيم:

«هل تريدان أن أجذبك بالقوة الى أسفل. أم أنك تنفذين ما طلب منك؟»

وضمت دابون شفتيها، وهي تقول:

«ليس هذا منزل سان سلفادور. لقد أخبرتني بأنك ستأخذني الى هناك.»

وأشار مانويل اليها بقلق:

«اننا ذاهبان الى المنزل، ولكن فيما بعد، أما الآن فأنني أشعر بالجوع. ألا تشعرين أنت بالجوع؟»

ونظرت دابون الى الكوخ المهجور بخوف وذعر، واستمرت وهي تحس بقلبيها يخفق بسرعة، وقالت:

«لن نجد شيئا يؤكل هنا.»

وأمسك مانويل بطاقم السرج فوق ظهر ميلودي، وهو يتحدث في دابون

بشدة ويقسم بصوت مخنق:

«يا الله! هل تظنين أنني أغرر بك!»

واقتمت عيناه، وهو يقول انزلي سوف نأكل معاً.

وترك الفرس، واستدار بعيدا، وترجلت دابون بأرجل مرتعشة. وانطلقت الفرسان تأكلان العشب جبا الى جنب في المرح المعشب، واتجهت دابون صوب مانويل.

كان الكوخ مظلماً من الداخل، وخاصة بالنسبة للقادم من الخارج. وعندما بدأت عينها تألف الظلام أمكنها أن تتبين مانويل جالسا الى منضدة خشبية يقطع رغيفا سميكاً من الخبز الفرنسي. كان الكوخ مهجوراً، ولكنه كان يبدو بالغ النظافة، وخمنت أنه كان يستخدم فقط للزوار الذين يأتون عرضاً في مثل تلك المناسبة.

ورفع مانويل بصره ورآها تستند الى عمود الباب، وكأنها تحتمي به. ولم تحتمل كانت السخريّة البادية في عينيه. كانت يدها تمسكان بالسكين، وبدت يشترتها بنيه قائمة بينما ظهرت أصابعه دقيقة قوية. وسرى فيها شعور لم تستطع الخلاص منه.

والى جانب الخبز، كان هناك بعض الجبن، وشريحة من الزبد. وأشار اليها مانويل بأن تدخل لتشارك في الطعام والشراب. كان الكوخ حجرة واحدة فقط، وصارت تفكر ملياً كيف أن أناساً يعيشون بالفعل في مثل ذلك الكوخ، وينشئون فيه أطفالهم كذلك.

وأكمل مانويل تقطيع الخبز والقي بالسكين جانبا. وأوماً برأسه عندما شاهد بئر الماء خلف المبنى، وعلق قائلاً:

«إنها مياه حلوة، ولكنها تقرب الى الملوحة قليلاً. إنها مرطبة. اذا أردت أن تغتسلي. وأضاف: انني لا أنصحك بأن تشربي منها الا اذا كنت تريدين أن



تصاب معدتك ومع ذلك فأنني أفضل أن تقرري ذلك بنفسك.

كانت نبرته ساخرة ، وضغطت دابون أصابعها وتكورت قبضة يديها . كان يحاول أن يغيظها عن قصد .

وعندما كانت تخرج من الكوخ كان مانويل يهم بالدخول ، فتقابلا عند الباب ، لكنه وقف جانبا يفسح لها الطريق . وسارت بنشاط حول المبنى من الخارج حتى وصلت الى الجانب الخلفي منه ، وهنا وجدت دلو رفعت به بعض الماء ، وصارت ترطب به وجهها ، وأدركت وهي تجفف وجهها بالمنديل أنها كانت على صواب عندما استخدمت أقل قدر من الماكياج ففي مثل تلك الظروف لا ينبغي أن يهتم الشخص كثيرا بمواد التجميل .

وأحست بعد ذلك بانتعاش كان الجو رغم ذلك شديد الحرارة ، وبدأت تفك زرا آخر من أزوار القميص ، وترفع لفافة الشعر الكثيفة بعيدا عن رقبتها بحركة تنم عن الضيق ، وأحست عند ذاك بأن مانويل كان قد خرج من الكوخ مرة ثانية . كان يراقبها ، وتركت يداها تتدليان جانبا ووقفت في الحال تنظر اليه بغير حذر وأنفاسها تخرج متقطعة .

وأخذت دابون تزرر قميصها ثانية ، وهي تقول :

«أرجوك يامانويل لا داعي لأن تبدأ مشاحنة أخرى...»

وتصلبت ملامحه ، وهو يرد عليها :

«هل هذا مائحين أن تمنعني به لقاءنا السابق ؟ مشاحنة ؟ وأخذ يهز رأسه مستنكرا .»

وتنهدت دابون ، وهي تقول :

«أصطف شعري بهذه الطريقة باعتباري معلمة لحوالي خمسة وثلاثين طفلا ، ولكي ابدو كبيرة السن نوعا وحتى يبدو أنني أكثر خبرة وتجربة . قالتها وهي تأمل أن تنال منه شيئا من القبول حتى تتفادى انزعاجه .

وحدث في عينيها ، وهو يقول :

«ولكنك لست في حجرة الدراسة الآن ، يادابون ؟»

استدارت دابون الى الجهة الأخرى وقالت :

«أرجوك ، ينبغي أن نواصل السير ، أليس كذلك ؟»

وبدا أن مانويل كان قد بدأ بضجر ، وسمعته يتحرك بعيدا عنها ويصغر لفرسه . ارتفعت في الحال . كانت تحس بذلك الهبوط المفاجيء . دأبها عندما تصل الى الاخفاق العاطفي مع مانويل . وصارت تمسح براحتيها الرطبتين على جانبي البنتلون بشيء من الضعف .

كان قد امتطى صهوة فرسه الآن ، وأخذ ينتظرها . واستجمعت قواها ، وأتجهت الى فرسها . لم يكن من السهل عليها الآن أن تمتطي ظهر الفرس . فالرحلة الشاقة والاسترخاء الذي تبعها . ساعدا على تصلب عضلاتها .

وشد مانويل لجام كونسيلو ، واتجهت الفرس نحوها بركة ، وسألها :

«هل أنت بخير ؟»

كانت عيناه أقل تساؤلا عن ذي قبل ، حين كان وجهه يعكس اهتماما حقيقيا بها .

ونظرت دابون اليه بلاذعان :

«بالطبع !»

ثم تساءلت ولم لا أكون كذلك ؟

والتوت شفتا مانويل وهو يقول :

«كفسي عن مجادلتني يادابون !»

وبدا وكأنه يقدم اليها النصيح :

«وعلى الأقل حاولي أن تسلكي كما يسلك الانسان المهذب في منزل سنان سلفادور...»



وحملت فيه دابون بغضب وهي تسأل :  
«ماذا تعني بذلك »

وحذقها مانويل بنظرة خاطفة :

«سوف تحمص أُمي وايفون على مراقبتنا، ومراقبة رد فعل كل منا للآخر ولا أريد أن أقدم لهما مادة للتخمين والاستنتاج.»  
وشعرت دابون بريقها يجف ، وعلقت :  
«اذن ، كان من الأفضل ألا تحضرني هنا »  
وضاقت عينا مانويل ، وهو يقول :

«لا تحاولي أن تتخذي من كلامي سلاحا تحاربيني به .»  
وأضاف :

«عليك فقط أن تتذكري ما أقوله لك»

وبحركة من معصمه بدأت الفرس السوداء تتحرك بعيدا ، وكان على دابون ان تتجه في اثره.

كانت التربة أكثر جفافا الآن ، وبدا أنها يقتربان من المنزل . وعلى مدى النظر كانت دابون ترى حزام الأشجار الواقية المحيطة بالمنزل ، وأمامها سياج من العربات والمباني الخارجية ، ورأيا قطيعا من الماشية معظمه من الشيران الصغيرة يسوقه عدد من الحراس . صاروا يرفعون كبعاتهم لتحيتها ، وكانوا يتجهون بالقطيع الى منطقة رعي أخرى . وأخذوا يرقبون دابون باهتمام لم يستطيعوا اخفائه . ارتعدت عندما وجدت عددا من تلك الشيران ينحرف بعيدا عن القطيع متجها نحوها ، ولكن مانويل أشار اليها بأن تبقى حيث كانت ، ونفر بجواده متصديا لها ودفعها مرة أخرى الى قطيعها.

كان فارسا صغيرا ، ولكن قلب دابون كان قد بلغ فاهها عندما خفضت الحيوانات الثقيلة قرونها ووجهتها بشيء من التهديد نحوها قبل أن تظمن .

وعندما رجع اليها مانويل بعد ذلك بدقائق حاولت دابون أن تتجنب عينيه . لم تكن تود أن يرى مدى الانزعاج الذي اعتراها .  
وكان ذلك ببساطة مثالا آخر للآلام التي كان عليها أنثر تعانيتها عندما تركت كامارغ مرة ثانية...

www.mlazna.com

dalia cool



## ٥ - المخاوف التي تحققت

واقتربا من منزل سان سلفادور ، وكان قائما بين سياج من الخطائر وحلبة صغيرة غير ممهدة لمصارعة الثيران . كانت دابون قد شاهدت مانويل يتدرب فيها ذات مرة مع ثيرانه ، وكانت أشجار البلانية المائنة تنثر أوراقها العريضة على حافة الطريق كأنها مظلات تقى من حرارة الشمس في فترة ما بعد الظهر ، بينما كانت تحف بالمنزل أشجار الطرفاء وأشجار السرو ، وبسبب خصوبة التربة حول المنزل استطاعت مدام سان سلفادور أن تقيم حديقة صغيرة كانت تزرع فيها الخضر ونباتات أخرى ، فقد كانت تحسن رعاية الحدائق . كانت دابون تذكر ذلك جيدا رغم أن ذكرياتها عن أم مانويل كانت دائما تمتزج بالمرارة .

ونظرت دابون الى مانويل ، وكان قد جذب الفرسين الى حوض ماء في الطرف البعيد من الساحة ، وبدأ يعود تجاهها بخطو واسع متكاسل ، ووقف الى جوارها يتفحصها بعين ثاقبة ، وسألها :

«حسنا ؟ هل تجددين المكان كما عرفت من قبل ؟»

وأومأت برأسها بالموافقة ، وكأنها لا تجد في نفسها قدرة على الكلام ، ومد مانويل يده يقودها الى المسطبة المنبسطة المؤدية الى الممر الضيق الذي كان يمتد من مقدمة البيت الى مؤخرته .

لم يمض وقت طويل حتى كانت عيناها قد اعتادت على الظلام داخل الممر بعد وهج الشمس المنتشر في الخارج ، وأحست بشيء من البرودة يسري في أوصالها ،

وفتح مانويل بابا على يساره ودفع بها في شيء من القسوة الى الداخل ، الى المطبخ الكبير الضخم . كانت نار تشتعل في حاملة اودودو برغم سخونة الجو ، وكان ذلك أول ما جذب نظر دابون ، وأدركت أن هناك شخصا آخر داخل المكان ، وكان ذلك الشخص امرأة في أواخر العقد الخامس من عمرها والى جوارها كانت فتاة صغيرة تساعد ، وكان عمر هذه الأخيرة يزيد قليلا عن الخامسة عشرة .

وتعرفت دابون على مدام سان سلفادور في الحال على الرغم من أنها مثل مانويل كانت تبدو أكبر بكثير مما عرفت .

واندفعت عينا المرأة العجوز مكرهة الى دابون ثم ما أدخلها مانويل الى المطبخ وقالت بصوت يغمر عن القلق الزائد :

«هكذا ؟ أحضرتها اذن ؟»

تحدثت مدام سلفادور بالانكليزية ، ووسوست دابون لنفسها أن المرأة العجوز تكلمت بالانكليزية لتجعلها تسمع وتفهم كل ما يدور بينها وبين ابنتها ، وأبدى مانويل إشارة تدل على عدم الاكتراث ، وهو يقول بحدا :

«هذا هو الذي حدث»

ومسحت مدام سلفادور يديها في خرقة رطبة من الفماش ، وأمرت الفتاة الصغيرة بالانصراف ، ثم اقتربت من دابون وعيناها تلمعان بالغيظ ، وهي تقول :

«لماذا جئت هنا ؟»

«انك يا أمي تعرفين لماذا جاءت هنا»

ونظرت اليه أمه نظرة تنم عن الاحتقار ، وهي تقول :

«آه ! نعم ، انني أعرف لماذا هي هنا في البيت ! ولكنني أريد أن أعرف لماذا رجعت ثانية الى كامارغ ! أريد أن أعرف لماذا اعتقدت ل مجرد صداقة كانت بينكما ،



أن لها الحق في أن ...»

وخاطبها مانويل بالفرنسية :

«اهدني»

كان مانويل قد قال ذلك بشيء من الحدة ولكن بوضوح في نفس الوقت .  
وعاودت أمه مشاعر الغضب الصامتة فقطع مانويل صمتها متسائلا :  
«والآن ، أين ايفون ؟»  
ونظر حوله ثم أضاف :

«هل هي مضطجعة ؟»

وبدا أنها لا تريد أن تجيب على السؤال ، ولكن النظرة التي ارتسمت على  
وجهها دلت على أنها قد غيرت رأيها ، وقالت بشيء من التحدى :  
«بالطبع ، إنها مضطجعة . أنت تعرف أنها دائما تضطجع بعد الغذاء . لقد تأخرت  
أكثر مما كنا ننتظر ، وانت تعرف ذلك طبعا .»  
وانحجه مانويل الى الباب بشيء من التراخي ، وهو يقول :  
«أذن ، سنذهب لئلا نرى الجدة جيا .»

قالها وهو ينظر نظرة خاطفة الى وجه دابون الشاحب . وهزت مدام  
سلفادور كتفها ذاتي العظام البارزة . كانت كما تبدو دائما امرأة نحيلة .  
وكان شعرها الرمادي يبرز كأية ملامحها ويجعلها تبدو أكثر نحولا ، وعلقت بقولها :  
«كما تريد .»

ونادي دابون أن تتبعه :

«هيا بنا .»

وتبعته مندفعة تجاه الباب فرحة بأن تتخلص من وجه مدام سلفادور .  
وانحجه مانويل صوب باب آخر يقع عن بعد على طول الممر الضيق . ولكن  
دابون أمسكت بكم ثيابه بشيء من التهور ، وهي تلحف في الرجاء :

«أرجوك يامانويل ، أرجوك أن تعطيني من هذا»

وتردد مانويل ، ثم قال :

«لماذا ؟ وماذا كنت تتوقعين من أمي ؟ أن تقدم لك تمنياتها الطيبة . وأن ترحب بك  
ترحيبا حارا ؟»

وخفضت دابون رأسها ، وهي تقول :

«لا ! لا شيء من هذا .»

ثم رفعت بصرها ، وهي تقول :

«ألا ترى كيف تكرهني ؟ كل شخص هنا يكرهني .»

ولم يحاول مانويل أن يجادلها فيما قالت رغم أنها كانت تنتظر منه أن يفعل  
ذلك . وحدثت نفسها بأنه لو كان يكرهها لما أبدى استعدادا لكي يقدم لها القود .  
وأخذ مانويل ينقر على باب الحجرة نقرًا خفيفًا ، وجاء صوت ضعيف من  
الداخل ينطق بالفرنسية :

«أجل .»

وفتح مانويل الباب ، وخطا الى المدخل ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح  
مختلفة تماما عن ملامحه عند مغادرة الحجرة السابقة . وسمعت دابون صوتا  
ألفته وعرفته ، ولكنه كان أكثر ضعفا مما تعودت ، كان الصوت يقول بالفرنسية :  
«آه ! مانويل ، انه أنت . هل أحضرت دابون ؟»

وأومأ مانويل مؤكداً ، وهو يحني رأسه ليمر أسفل المدخل المنخفض .  
وأجاب الفرنسية :

«إنها هنا . ادخلي يا دابون .»

وتلكأت دابون عند الباب ، وانحجعت العينان اللامعتان اللتان تشبهان  
عينى الطائر اليها بقلق ، وأشارت جيا اليها بأن تأتي الى جوارها بالقراشي .  
وتحركت دابون تجاهها بشيء من الارتباك .



وبادرتها دابون في تردد :

«أهلاً جيا ، كيف حالك ؟»

وظلت العجوز تحديق فيها النظر لبضع دقائق جعلت دابون تتمثل بقلق ثم التفتت الى حفيدتها توميء برأسها بشيء من الرضى ، وقالت :

«حسناً ! انني ممتنة لك يامانويل . يمكنك أن تتركنا وحدنا لحظة.»

وحاولت دابون أن تستدرك قائلة :

«آه ، ولكنني ..»

ولكن نظرة من عيني مانويل الرماديتين كانت كافية لتسكتها . وذرع الحجره بخطوات سريعة الى الباب ، وخرج وهو يحمي جدته بطريقة تخلو من الكلفة.

نظرت جيا اليها بقلق ، ثم قالت :

«اجلسي هنا على السرير بجاني.»

وأشارت باصبعها اشارة خاطفة الى وجنتي دابون الشاحبتين ، وهي تقول :

«هكذا . ها قد رجعت الينا.»

ورفعت دابون كتفها بطريقة لا شعورية ، وعلفت على ملاحظة جيا قائلة :

«لفترة قصيرة.»

واستفسرت جيا :

«لترى مانويل ؟»

وأجابت دابون :

«نعم.»

ولم ترفع بصرها الذي كان قد تركز على رسم لورقة شجر ، كانت تكون نوعاً من الزخرفة على المضربة التي تغطي الفراش.

وسألت جيا مرة ثانية :

«لماذا ؟»

كانت جيا على غرار مانويل حادة تتجه الى الموضوع بطريقة مباشرة تماماً كما كانت أمه ، ولكن مدام سلفادور كانت تختلف بعض الشيء.

وأجابت دابون بصدق :

«أنني بحاجة الى بعض النقود.»

كانت جيا تضطجع على وسائدها ، وعيناها تضيقان ، وهي تفكر بعمق :

«لقد فهمت ، ولكن لماذا تحضرين الى مانويل ؟ لقد كنت أعتقد أنه آخر شخص يمكن أن تلجأ اليه بعد ما حدث.»

وتنهدت دابون ، وهي تجيب :

«لم يكن هناك شخص آخر أستطيع أن أطلب منه هذا الطلب.»

وسألت جيا :

«وهل أنت مقتنعة بما تفعلين ؟»

وهزت دابون كتفها ، وهي تقول :

«لا أدري.»

وعاودتها السؤال :

«لماذا تحتاجين الى النقود ؟ هل أنت في ورطة ؟»

وأجابت دابون :

«لا ! ليس كذلك بالضبط.»

ورفعت دابون بصرها الى وجه العجوز ، وكانت تبدو عليه بعض العقد

الجلدية ، قائلة :

«أنظري يا جيا . هذا سر بيني وبين مانويل ، ولا أحد آخر يعرف به . انني أسفة ، ولكن الأمر ينبغي أن يكون كذلك . واذا كان مانويل يظن أنه عندما



يحضرني اليك هنا يمكنه .»

وقاطعتها جيما بحرارة . وعينها القاتمتان تومضان الشر :

«أنا الذي طلبت أن تحضري الى هنا عندما أخبرتني لويزا أنك في أرل»  
وسألت دابون :

«إذا هي لويزا التي أخبرتك»

وردت جيما :

«بالطبع ، انك لا تعرفين مانويل .»

وأظهرت إشارة تتم عن القلق ، ثم أكملت :

«لا ، كانت لويزا هي المسؤولة عن ذلك . بالتأكيد أنت تعرفين مانويل  
أفضل من ذلك يادابون ينبغي عليك ...»

وأشتعلت وجنتا دابون بحرارة . ونهضت من الفراش فجأة ، وسارت عبر  
الحجرة الى النافذة الضيقة بطريقة فيها شيء من التشنج . وسألت جيما :  
«أنت لم تخبريني لماذا جئت لتعيشي هنا في البيت ، لماذا تركت العربية»  
وأخذت جيما ترمقها لدقائق قليلة ، ثم تكلمت :

«لقد وقع لي حادث سقوط منذ عدة شهور . هؤلاء الاطباء ! انهم انفسهم يخشون  
الموت . ولذلك يصممون على أن يحموا أي انسان منه رغم أنه ترياق . لقد  
صمموا على أن يحضروني الى البيت ، وأن أظل تحت الملاحظة .

ولوت جيما شفيتها ، وهي تبدو قريبة الشبه بحفيدها الى حد كبير ، وهي  
تقول :

«البرت ؟ أنت تعرفين أنني وألبرت كنا دائما مختلفين . كيف كان من الممكن  
اذن أن يحدث الاتفاق بيني وبين أرملة ؟ تلك المرأة الباردة ذات الشفاء الضيقة  
التي لم تفعل من الأشياء الصالحة طوال حياتها غير شيء واحد فقط !»  
وسألت دابون بفضول :

لنالي الصبر

«وما هو ذاك ؟»

وأجابت جيما ، وهي تجذب غطاء السرير باحكام :

«لقد ولدت مانويل ، الذي كان ينبغي أن يكون لي أنا ، الثمرة الحقيقية  
لي... آه... نعم ، انني على استعداد لأن أبذل كل شيء من أجل مانويل .»  
«لقد حدثتني لويزا عن ايفون .»

وعلقت جيما بطريقة تتم عن عدم الاهتمام :

«هل فعلت ؟»

واستدارت دابون وهي تستند الى المرأة ...

«نعم . لا بد أنه كان أمرا فظيعا .»

ووافقت جيما ، وقالت بغير اكتراث :

«بالنسبة لايفون... نعم .»

وهزت دابون رأسها ، وهي تقول :

«ولكنها كانت دائما نشيطة الى حد كبير ، كانت مليئة بالحياة ! لا بد أنها كانت  
ضريبة مروعة .»

واضطجعت جيما بتناقل على وسادتها ، وهي تعلق :

«أعتقد أنها كانت كذلك .»

وألحت دابون :

«ولكن كيف حدث ذلك ؟ أخبرتني لويزا أنها كانت تشاكس الثيران لأنها هي

ومانويل كانا قد تشاجرا .»

وأغلقت جيما عينيها ، وهي تقول وقد بدا عليها شعور بالتعب :

«أعتقد أن تلك هي الكيفية التي وقع بها الحادث .»

وتساءلت دابون :

«ولكن ، ولكن لماذا فعلت ذلك ؟ ان الجدل مع مانويل بالتأكيد...



ورفعت جيا إحدى يديها ببطء ، وعيناها مغفلتان وهمست :  
«أحس احساسا مفاجئا بالتعب . أتركيني من فضلك.»

ثم قالت بشيء من الحدة :

«أريد أن أراك مرة ثانية . متى تحضرين ؟»

وأحست دابون أن جيا لم تكن تحس احساسا تاماً بالتعب ، وإنما كانت تتظاهر بذلك . وقالت دابون ، وهي تلهث :  
«ولكن على أن أعود الى انكلترا...»

وسألت جيا :

«لماذا ؟ ما الذي يدعوك الى العودة بهذه السرعة ؟»

وأجابت دابون ، وهي تتننى خصلة من الشعر خلف أذنيها :

«ان لي عملا»

وعلقت جيا :

«هراء . انك تحتلقين الأعذار ! سوف يعني مانويل بذلك . أرسله الى قبل أن تنصري.»

وهزت دابون رأسها بئس ، وعندما بدأت عين جيا تنغلقتان من جديد ، خرجت من الباب ، وأغلقت خلفها بهدوء .

وشعرت بالتردد عندما خرجت الى الممر ، وسمعت أصواتا من المطبخ . وعرفت أن مانويل كان هناك . وفتحت الباب بشيء من التردد ، ودخلت . ورغم أن مانويل كان هناك مع أمه ، فقد تسمرت عيناها على الشخص الجالس على الكرسي المتحرك ذي العجلات الذي كان يستقر في وسط المطبخ على الأرض المغطاة بألواح من الخشب . كانت الفتاة التي تجلس بزهو وكبرياء في ذلك الكرسي هي ايفون ديمارس وهي الفتاة التي كانت أم مانويل تتمنى من كل قلبها أن تصبح عروسا لابنها . والشيء الذي كان يثير الدهشة أن ايفون لم

تنغير كثيرا بالرغم من الحادث .

كانت دابون تتعجب من قوة شخصية جيا ، وكان من الواضح أن أيا من المرأتين اللتين أمامها لم تكن ترغب في تواجدها ، ولكن أراءهما كانت تحكمها تلك العجوز المستبدة التي تعلو كلمتها فوق كلمة أي شخص آخر ماعدا مانويل . وعضت لحظات من الصمت المؤلم ، ثم قطع مانويل ذلك الصمت المفروض ، وهو يستفسر بسخرية :

«هل طلبت اليك أن تنصري ؟»

وأومأت دابون بالموافقة وهي تقول :

«يمكنك أن تقول هذا.»

وعضت شفيتها ، ونظرت الى الفتاة الأخرى وهي تقول :

«أفلا ! ايفون . لقد أسفت للغاية عندما سمعت بالحادث الذي وقع لك . ولكن أراك بخير.»

ورفعت ايفون حاجبها المقطبين ، ونظرت نظرة قصيرة تجاه أم مانويل وسألت ببرود :

«وما الذي يجعلك تشعرين بالأسف ، يا أنسة ؟ أكاد أكون متأكدة أن خبر اصابتي قد أسعدك.»

وامتقع الدم في وجه دابون ، وهي تقول :

«انك مخبطة تماما . ان أي شخص لا يسهه الا أن يشعر بالحزن عندما يسمع بمثل هذا الحادث.»

ثم أضافت بشيء من الحماس :

«على أي حال أنتي سعيدة أن الحادث لم يخرس لسانك الحاد يا ايفون.»

وردت ايفون مغضبة :

«كيف تجرؤين أن تقدمي الى هنا ، وتحدثني الى بهذه الوقاحة . أنت !»



ورفع مانويل عينيه تجاه السماء ، وهو ينطق بالفرنسية :  
«إذا كنتم تحبون الله !»

ونظر الى دابون ، وهو يقول :

«كفى عن هذا التشاحن ، لا أقبل بالذي يحدث أمامي»  
ثم أضاف :

«أجلسي ! لقد أعدت أُمي بعض القهوة وسوف نشرب شيئاً منها قبل أن  
ننصرف... حسناً؟»

وراقبت دابون ماييجري بين مانويل وايفون وهي تعجب لماذا لم تتم  
مراسم الزواج بينهما من قبل ماداماً ينتويان الزواج . كانت قد علمت من لويزا  
أن ثلاث سنوات كانت قد مضت منذ وقع حادث ايفون ، ولم يبد لدابون  
أن ثمة شيئاً من هذا القبيل تم ترتيبه.

وبدا قلبها يدق . ما فرص ايفون في الشفاء؟ هل يمكن أن تتاح لها الفرصة  
لتعيش حياة عادية من جديد؟ هل يكون بإمكانها أن تلد لمانويل طفلاً يحمل  
لقب آل سان سلفادور ، وتنهتد دابون ، لو كان لديها من قبل أي شك في  
ألا تخبر مانويل عن جوناثان فان الموقف هنا يجعلها تغير رأيها . كانت حالة  
ايفون هي الشيء الذي يمكن أن يحول بينهما ، وبصرف النظر عن قسوة  
ايفون معها في الماضي فان دابون لم تكن لتحطم آمال ايفون في  
المستقبل.

تذكرت دابون ما قالته جيا فخاطبت مانويل قائلة بشيء من الغلظة :  
«إن جدتك تريد أن تراك قبل أن ترحل . لقد نسيت أن أخبرك بذلك».

وتردد مانويل لحظة ثم خرج من المطبخ ، واعتري دابون شيء من  
الخوف عندما وجدت نفسها وحيدة في مكان واحد مع ايفون ومع مدام  
سلفادور.

وقدمت مدام سلفادور فنجان القهوة الى ايفون ثم نظرت الى دابون  
وسألتها بطريقة مفاجئة:

«متى ستنصرفين؟»

واستفسرت دابون :

«تعنين متى أرحل الى انكلترا؟»

«بالطبع !»

وجرى لسان دابون فوق شفيتها الجافتين :

«انني غير واثقة ، ولكن ربما يكون ذلك خلال أيام قليلة .»

ونظرت ايفون الى أصابع دابون العارية من أية حلى ثم الى الماسة  
الطبيعية البراقة على اصابعها ، وسألت :

«أذن أنت لم تتزوجي بعد؟ ولم تخطبي؟»

وهزت دابون رأسها ، وأجابت :

«لا»

واقتربت منها مدام سلفادور ، وهي تسأل :

«هل جئت الى هنا لتسببي المتاعب يا أنسة؟»

قالتها بحدة وغضب . كان السؤال صدمة فاجت بها دابون على غره .

وأجابت على الفور :

«لا ، لا ، بالطبع لا».

وعضت شفيتها قبل أن تواصل:

«لم أكن أود أن أتى الى هنا الى المنزل ، ولكن جيا هي التي رتب كل ذلك .

انكم تعرفون ذلك بلا شك».

ونظقت أم مانويل باستخفاف :

«جيا ، هذه المرأة كانت أساس جميع المتاعب بين مانويل وأسرته . لقد بذلت



كل ما في وسعها لتدمر حياتها.

وردت دابون بهدوء :

«ولكن جيا من أسرته أيضا»

ورفعت مدام سلفادور رأسها وهي تقول :

«هي ليست من الأسرة ، وإنما من الفجر . انها امرأة كسول لا تصلح الا للخطف وسرقة الخيل . انها عجوز شمطاء لا تقدر المسؤولية . تظن أن في مقدورها أن تتحكم في حياتنا بقوانينها الخاصة»

وضمت قبضة يديها بقوة واستطردت :

«انها تشيخ . أنسمعين ؟ سوف تموت سريعا . وعندئذ نخلص جميعا منها ومن سحرها وتعوذاتها . ومن معتقداتها السخيفة التي أقامت مجابا من البؤس حول هذا البيت .»

وابتعدت دابون عنها باشمزاز . وهي ترد بنية واضحة :

«انها حقا عجوز . ولكنها لا يمكن أن تكون غير مسؤولة ! ينبغي أن تتذكرى أنها كانت أميرة في قبيلتها ، ولولا أن جد مانويل وقع في حبها وأحضرها لتعيش هنا في المنزل لكأنت قد تزوجت رئيس القبيلة»

وعلفت مدام سلفادور ساخرة :

«ما هذا اهراء ؟ أهذا ما كانت تقصه عليك ؟ اذن هي تزوجت والد زوجي ولكن ولاءها كان لأسرتها . وبمجرد أن مات زوجها تركتهم وخرجت تعيش حياة متحررة»

ونفضت دابون على قدميها . وهي تقول :

«أنت لا تفهمين . لقد كانت تكره أن تعيش حبيسة ! كانت تكره أن تعيش في بيت ترى فيه نفس المناظر من نافذة مسكنها يوما بعد يوم وسنة بعد سنة . ثم انها عندما مات زوجها كان ابنها قد تزوجك بالفعل»

واقتربت مدام سلفادور بوجهها من وجه دابون . وهي تقول :

«كيف تجربين على ذلك ؟ أنت يا من تخلقين المتاعب ! تحضرين الى هنا وتنتظاهرين أنك تبعثين في ثقافة الفجر ومعارفهم . وتحاولين أن تغوي ابني بعديثك عن المعرفة والثقافة . تلك الكلية العجوز الخرفة شجعتك أيتها المغفلة . ألا تعرفين أنها ترغب في عمل أي شيء يفيظني . ولو كان اقامة حفل عرس بينكما أنما الاثنان لتجعل ما ترتكبان به يبدو وكأنه عمل سليم شريف في نظر ابني»

استمرت تقول ذلك وايفون عن بعد تتحفر على مقعدها المتحرك وحيناها تلمعان من غرط السرور والتشفي وصارت دابون تلهث وهي تضم فتحة رقبة قميصها بأصابع مرتعشة . ووجدت نفسها تصرخ قائلة :

«انك حقود كاذبة .»

وسقطت الى الخلف مذعورة عندما امتدت يد مدام سان سلفادور تصفع

وجهها صفعة مؤلمة . ودخل مانويل غاضبا يصيح :

«ما الذي يحدث هنا ؟...»

وحلق في دابون التي كانت تقف في فزع . ويدها على خدها الملتهب من أثر الصفعة . ثم حلق في أمه التي كانت تنشب بطرف المنضدة الخشبية المغطاة بالطلاء تحاول أن تتأسك عليها وهي تصرخ :

«أطردنها من البيت ... لقد سببني بأفطع السباب ! كيف تحضرها هنا وأنت تعرف شعورها نحوي . ونحو كل شيء ؟»

وصرخت دابون قائلة :

«هذا ليس صحيحا...»

وأخذت دابون تحمق في الأشخاص الثلاثة . في مدام سلفادور التي كانت تجهمش بالبكاء . وفي ايفون التي تحاول عبثا أن تسري عنها وفي مانويل الذي كانت تبدو على وجهه ملامح الغضب . وهو لا يعرف من



يصدق . وانطلقت من أمامهم جميعا ، وهي تتلعثم ، انطلقت من المطبخ الى الساحة الخارجية لتصبح أكثر وحدة مع الدجاج ومع طائر الباشق .  
وقفت دابون أمام المبنى مباشرة تتنفس تنفسا عميقا ، وتحاول أن تهدئ من خفقات قلبها التي تدق بعنف . لم تكن في حياتها من قبل قد أحست بأنها أهينت مثل تلك الالهانة ، حتى في تلك المناسبة منذ ثلاث سنوات مضت عندما أخبرتها مدام سلفادور بطريقة حاسمة مؤكدة بالتزامات مانويل . عند ذلك كان لديها بصيص من الأمل الذي كان يساعدها على أن تتحصن ضد ليالي الوحدة المقبلة ، أما الآن فلم يكن هناك شيء . كانت تشعر بأنها قد أصبحت وحيدة يائسة .

كانت دابون مهمومة حول حالتها اليائسة الى حد أنها لم تلاحظ أن شخصا ما قد خرج من البيت ، وعبر الساحة المجاورة لها ، وأخذت بعنف عندما ناداها مانويل :  
«دابون»

وكان صوته يختلف تماما عن الصوت الذي كان يتحدث به داخل البيت . وتحركت بعيدا عنه بشيء من الخوف ، وصار يتمتم بطريقة تمل على أنه قد فقد صبره - وناداه مرة ثانية :  
«دابون ، أرجوك» .

كانت عيناه قائمتين من الانفعال وهو يقول :  
«كفى عن النظر الي هكذا كما لو كنت تخشين أن أضربك ! انني لا أنوي ذلك .  
أنني فقط أسف لأنك واجهت ما حدث» .

وخرجت أنفاس دابون في قفزات سريعة ، وهي تستفسر بتردد :  
«هل تعتبر هذا اعتذارا عما حدث في الداخل ؟»

وضاقت عينا مانويل ، وهو يرد :

ليالي الضيق

«أنني لا أعتذر لأي شخص . أنني فقط أعبر عما أشعر به» .  
وهزت دابون رأسها هزة خفيفة ، وهي تتساءل :  
«أنتم ، أنتم يا آل سلفادور ماذا تظنون انفسكم؟»  
واستطاعت أن تقمع رغبة في البكاء كانت تعتمل في نفسها ، وأكملت :  
«لم أكن أرغب في الحضور الى هنا ، ولم أكن أرغب في هذه المواجهة مع أمك .  
ومع ذلك فان أحدا لن يعفيني من اللوم» .  
ولمعت عينا مانويل ، وهو يسألها :  
«هل تعتقدين أنني ألوئك»  
وأومات برأسها :

«نعم ، نعم . لقد عاملتني كدمية منذ وصولي ، وجعلتني أرقص على نغمتك لأنك الأقوى . حسنا ، كفى . لقد قررت أن أنهي هذا الموضوع كله . يمكنك أن تحتفظ بنقودك ، لا أريدها» .

وناداه بحدة :

«دابون»

ولكنها استدارت بعيدا ، وجرت عبر الساحة الى حيث كانت ميلودي واقفة تنتظرها . وقفزت الى السرج . وهي تتجاهل أوامره بأن تترك الفرس ، ثم وكزت الحصان بمؤخرة قدميها ، وبدأ الحيوان يقفز بسرعة الى خارج الساحة قبل أن يتمكن مانويل من اللحاق بها . قفز مانويل على سرج حصانه ، وأحست دابون برعشة من الخوف تسري في جسدها ، فقد كانت تعلم أن هذا هو آخر ما يمكن أن تصل اليه في عنادها لمانويل الذي كان قد نفذ صبره معها .

ولم تتوقف لتقدير نتائج سلوكها معه ، بل انحنت برأسها على جسد ميلودي تستحثها على الاسراع وهي تقفز بسرعة عبر السهل الممتد من الأراضي العشبية التي تواجه مزرعة سان سلفادور . وصارت الفرس تعدو عبر المروج



ولكن دابون كانت في هذه المرة تسيطر قاما على القود ، وكانت الريح وهي تتخلل شعرها تبحث فيها شعورا بالصحة والقوة بعد أن تخطت حدود المزرعة الضيقة وما يصاحبها من جو الشك والكراهية.

كانت هي وفرسها تخوضان في إحدى البحيرات الضحلة عندما وجدت فرس مانويل الأسود قد لحق بها ، ووجدت مانويل إلى جوارها يحاول أن يصل إلى لجام حصانها ، ولكنها انحرقت بعيدا بالفرس حتى ، كاد مانويل أن يسقط من حصانه ، وعندما أدارت رأسها إلى الخلف لتتظروا أصابه كانت ميلودي قد استدارت بطريقة مفاجئة وألقت دابون جانبها من فوق سرجها... لقد طارت في الفضاء ثم بدأت تهوي بنعومة في ماء المستنقع الموحل ، وصاحت ، ولم تكن تعبيرا عن الألم أو الشعور بالالتواء ، ولكن كانت أسفا على ما أصاب بنظفلونها القشدي وقصيصها الأرجواني ، فقد تلوثا قاما.

وظلت ساكنة هناك للحظات ، لا تود أن تنهض شعورا بالضيق لما وضع لجامها ، ولكن مانويل كان قد تزلزل من ظهور فرسه الأسود ، ووقف إلى جانبها وأنحنى على عجزه ، وصار يحدق فيها بقلق ، وصاح بصوت مبحرج : «دابون ! هل أنت بخير ، وهل أسأت إليك ؟...»

ورفعت دابون بصرها إليه بارتباك ، واستندت إلى مرفقها ، وهي تقول بيأس :

«لقد أتسخت ملابسي ، هذا ما حدث.»

أخذ عنادها يذوب تحت نظرته التي تعبر عن الاهتمام بسلامتها ، وكانت ستارة من شعرها تتدلى على وجهها ، وهزت رأسها وهي تقول :

«أسفة يامانويل ، لقد كان سفها مني أن أسلك هكذا.»

وتنهض مانويل على قدميه ، ومد يديه إلى شعره يشطه بها ، وهو يقول : «أوه ! دابون ، بالله عليك قومي .»

ورفعت دابون بصرها إليه وهي تحس بوجوده وبقوته وبشخصيته المثيرة ، وبحاجتها الماسة إليه. كانت تحس احساسا قويا بكل ذلك ، وقالت له بشيء من الاصرار :

«ساعدني على النهوض يامانويل ، الا اذا كنت تخشى أن تتسخ يدك.» والتفت مانويل ومد إليها يده على الفور وهو يحاول أن يسيطر على تعبيرات وجهه ، ووضعت دابون يدها في يده وهي تحس ببشرته تلمع بشرتها رغم أن جلده كان رطبا ، وجذبها إلى أعلى بسهولة ويسر ثم أطلق يدها ، واستدار ليمسك بسير لجام كونسيلو بحركة آلية.

وانقبض حلق دابون وبدأ انفعالها واضحا ، وكان مجرد النظر إلى رأسه من الخلف يسبب لها قدرا من الاثارة ، وبدأت تفكر في جوناثان وفي المخاطر الكبيرة التي جازفت بها لمجرد وجودها بالقرب من مانويل ، وأدركت أنها كادت تخاطر في لحظات قصيرة بأن تجعله يفعل شيئا ربما أدى إلى أن يحتقرها أكثر مما كان يفعل من قبل ، ومن أجل ماذا ؟ مجرد نزوة ! نزوة طارئة لا تدوم غير لحظة تختفي معها كل الاعتبارات الأخرى .

ورجع إليها مانويل بعينين متوترتين وقد استعاد سيطرته على نفسه ، وهو يسأل :

«هل أنت مستعدة ؟»

وأومأت متباطئة - فأكمل :

«حسنا اذن سنعود إلى البيت ؟»

وذعرت دابون :

«إلى البيت ؟ لا ! لا أريد أن أعود ثانية إلى هناك .»

ورد بصوت بارد غير مكترث :

«هل تعزمين اذن أن تدخلتي المدينة هكذا ؟»



ونظرت دابون الى ثيابها الملوثة بالطين ثم مدت يدها الى شعرها الأشعث وصارت تتلعثم :

«وماذا ؟ لاف من ذلك ، أليس كذلك ؟»

وتردد مانويل ، ثم تنهد بعمق وقال بحسم :

«سوف نذهب الى الكوخ .»

وارتعشت دابون وهي تقول :

«لا بأس»

وأجاب مانويل بالفرنسية :

«أذن ، هيا بنا.»

وامتطى مانويل ظهر كونسيلو ، وأمسك بسير الجام ميلودي بينما كانت دابون تنسلق الى مقعدها في السرج ، ودون أن ينطق بكلمة أخرى ، وخز فرسه بمؤخرة قدميه ، وبدأت الفرس السوداء تجري برشاقة عبر المستنقع ، ولم يمض وقت طويل حتى كانا قد وصلا الى الكوخ ، ولكن دابون لم تكن تشعر بمرور الوقت ، ثم بدأت تغتسل بمياه البئر خارج الكوخ المسقوف بالقش ، بينما دخل مانويل الى الكوخ ليحضر شينا من الشراب ، وبدأ الطمي يختفي سريعا من يديها وذراعيها ، وقمت لو كان بوسعها أن تخلع قميصها لتبلل رقبتها وكثفها بالماء ، ولكنها لم تستطع بالطبع أن تفعل ذلك ، واكتفت بأن حلت أزرار القميص ، وبدأت تبلل رقبتها بالماء الذي أخذ ينساب بيسرودة على جسدها الدافئ .

وصارت تحلق بطريقة مركزة في الفضاء مستغرقة في أفكارها ، عندما خرج مانويل من الكوخ وصار يسير نحوها بخطى قوية ، وعراها الاضطراب في الحال ، وبدأت تشد القميص الى جسدها في صمت وارتباك ، بينما صار مانويل ينظر نحوها بافتراس وسألها في خشونة :

«بالله ، ماذا تفعلين الآن ؟»

وأخذت عيناه تستقران في تشاقل عليها .

ورددت دفاعا عن نفسها :

«لقد شعرت بالحرارة ، فحاولت أن أرطب نفسي.»

وصار مانويل يتفحص بطريقة مكثفة وجنتيها اللتين علتها حمرة الخجل ، وهو يعلق :

«من غير المعقول أن تتخذي من السهل المنبسط مكانا للاستحمام ، فلربما فاجأك شخص هنا . عندئذ كيف تتصرفين ؟»

وارتعشت أصابع دابون ، وهي تحاول عبثا أن تغلق أزرار القميص ، وقالت في شيء من التردد ، وكأنها توجه اليه الاتهام :

«بالطبع من حقك أن تقول ذلك . حسنا ، ها أنت قد فاجأتني فماذا يمكن أن يحدث في مثل هذا الموقف ؟»

واكتست عينا مانويل فجأة بلون قاتم وصار يقول :

«ماذا تنتظرين أن يحدث في مثل هذا الموقف ؟»

وتسمرت أصابع دابون أمام نظرة عينيه ، وأدركت أنها قد تجاوزت الحد بدرجة كبيرة في تلك اللحظة ، وأنها قد خطت تجاه المجهول . حاولت أن تبتدئ التوتر الذي أخذ يحوطها فتحركات بسرعة بأمل أن تقف عند الطرف الآخر من البئر ، ولكنه كان أسرع منها .

وعاودت أخيرا وكان مانويل لازال يوليها ظهره وظلت تنتظر اليه وأخذ يتحرك تجاه البئر وانحنى يتناول بعض الماء بيده ليرطب به وجهه ورقبته ، ومد يده المبللة بالماء الى شعره ، ثم بسط قامته ، وأخذ يشني عضلاته بشيء من التراخي قبل أن يستدير تجاهها وملامح وجهه تكاد تمزق عواطفها ، كان وجهه مفعما بالمرارة وبمظاهر الوحدة القائمة .



وانجبه الى فرسه السوداء دون أن ينطق بكلمة ثم قفز الى السرج وعاد الى حيث  
تقف دابون يرمقها بنظرة تنم عن الاحتقار ، ووجه اليها كلامه بشيء من  
القسوة :

«اركبي!»

واستسلمت دابون للأمر الصادر اليها بشيء من التردد ، وخز حصانه بمؤخرة  
قدميه دون أن ينطق بكلمة ، وانطلق تاركاً ايها وراه لتبعه . كان يسبقها  
بمسافة كبيرة طول الطريق الى ضواحي أرل ، وطلب اليها أن تترجل قبل الفندق  
بمسافة ، ونظرت اليه بارتباك ، فقال لها بشيء من البرود :

«لا أريد أن أدخل المدينة ، وأنا واثق من أنك لن تجدي صعوبة في العودة الى  
الفندق ، وإذا حدث ذلك فبإمكانك أن تسألني أي انسان يسير على الطريق ،  
وسيكون من دواعي السرور لأي رجل أن يقوم بإرشادك.»

وقفل راجعاً دون أن ينتظر الاجابة ، وتركها في حالة أسوأ بكثير مما كانت  
تعاني طوال حياتها.

## ٦ - تلك الاحتفالات العجرية

ولم تستطع دابون أن تفهم حقيقة موقفها قبل أن يحل صباح اليوم التالي .  
ظلت طوال الليلة الماضية مغمورة بالحزن ، ولم تكن تحس بشيء سوى أنها  
كانت فاقدة الحركة ، ورغم أن النعاس غلبها في النهاية كانت تقطع نومها أحلام  
مفزعة ، رأت فيها مانويل يجذب جوثانان منها بقوة ويذهب به بعيداً حيث  
لا تجد سبيلاً للوصول اليه .

وجلس في الصباح وعيناها أضناها القلق تحديق بصورتها في المرآة ، تحاول أن  
تجد الايحاء من وجهها الذي كانت تبدو عليه الكآبة . كان كل مايلح على ذاكرتها  
هو وجه مانويل عندما التفت اليها في الكوخ ونظرات الاحتقار والمرارة تبدو  
على وجهه . كانت بالنسبة اليها أقسى من الاتهام الصريح . وصارت تفكر : لماذا  
يلومها لأنها تصرفت كما فعلت ؟ هل كان يظنها المرأة التي تستشير الرجل بمكر  
وسخريه ثم تنسحب بصلافة استهتاراً بمشاعره ؟ ألم يكن يشعر بأن ماحدث ألمها  
كما ألمه ؟

ووضعت رأسها بين يديها ، واستقر مرفقاها على الحافة الخشبية للمساء .  
وبدأت نظرات خاطفة من الماضي تنطلق بسرعة الى الذاكرة لتزيد من ألماها .  
وبدأت تسترجع صورتها عندما حضرت لأول مرة الى كامارغ منذ ثلاث



سنوات كانت فتاة لا تجربة لها ، على وشك أن تكمل برنامج اعدادها وتدريبها كمعلمة ، تذكرت كيف أتاحت لها الفرصة لزيارة فرنسا لمدة ثلاثة شهور ، وكيف انتهى بها الأمر الى أن تقضى معظم هذه الشهور الثلاثة في اقليم البروفنس . كانت قد أمضت فترة تدريب أساسية في باريس ، واستأجرت بعد ذلك سيارة قديمة خرجت بها في نزهة الى الجنوب ، وأمضت عشرة أيام تستكشف فيها قلاع وادى اللوار . كان الوقت هو شهر مايو ، وكان الجو منعشاً بدرجة تجتذب جيوش البعض التي كثيرا ماتتواجد في تلك المنطقة .

كانت المنطقة حول أرل وحول سانت ماري مزدهمة بالفجر والسياح ، حضروا جميعا بمناسبة الاحتفالات السنوية تخليدا لذكرى قدوم القديسات الثلاث اللاتي أعطين اسمهن للمكان ، وبذلك أصبح يعرف باسم سانت ماري . ولكن الفجر قدموا بيعتهم الى سارة الخادم السمراء للقديسات الثلاث ، ورغم أن البابوية في روما لم تعترف لسارة بهذه القداسة في أى يوم من الأيام ، فقد ظلت الشعوب الفجرية تقدسها ، وحيكت كثير من الأساطير حولها . وعرفت دابون شيئا كثيرا من هذه الأساطير ، ولكن الذى كان يشدها الى السكان في ذلك الوقت كان مجرد الاجتماع الكبير بذلك الحشد من الناس .

ولم يكن معها سوى آلة تصوير ، وبعض المذكرات لتسجل انطباعاتها عما تراه عندما قدمت في صباح مشمس لأول مرة الى سانت ماري ، ومع مجيئها قابلت قدرها . لم تكن السيارة القديمة التي استأجرتها سيارة يعتمد عليها ، وعندما لم تستجب السيارة للتوجيه واندفعت في احدى القنوات ، ولكن كتبت لها الحياة ، حين وجدت نفسها على أطراف مخيم الفجر . كان هناك شاب وسيم ساعدها على الخروج من القناة ، واصطحبها لتقابل جدته بعد أن صمم على أن تقبل دعوته . كان الشاب هو مانويل وكانت الجدة هي جيا ، ولم تكتشف ، الا بطريقة عارضة فيما بعد ، أن مانويل كان ينتسب الى الفجر بنسبة الربع فقط ، وأما

ثلاثة أرباع نسبه فكان الى الطبقة الأرستقراطية في اقليم البروفنس .

وبدأت دابون تدرك مدى حرج موقفها وحدود علاقتها بمانويل عندما عاد السيد سلفادور وزوجته . ومع ذلك فقد رفض مانويل أن يحول بينه وبينها أى شيء أو أي انسان وظل يزورها باستمرار ، وكانت دابون قد قابلت أبويه وشقيقته لويزا ذات الأربعة عشر ربيعا وأذهلنها المشاعر الباردة التي كان الأبوان يظهرانها تجاه نجلها الوحيد .

واتاحت لها الفرصة بعد ذلك لمقابلة ايغون ديمارس ، وكانت مدام سان سلفادور وايغون فيما بينهما قد جعلتا دابون تفهم أن مانويل يعترم الزواج من ايغون ، وأن ذلك الأمر كان قد تم الاتفاق عليه منذ طفولتهما ، وأن لاشي ، ولا انسان يستطيع أن يحول دون ذلك الزواج .

أما جيا بمكرها الفطري فقد كانت تفهم موقفها أكثر من أي شخص آخر ، وكانت قد لاحظت علاقتها تنمو وتتطور ، وكانت تعرف بالضبط ماسيصير من أمرها .

وفي شهر يوليو/تموز عندما أقيم الاحتفال بعيد مصارعة الثيران في أرل ، دعت جيا أعضاء قبيلتها من الفجر ليجتمعوا في مزرعة سان سلفادور ، وحضر منهم العشرات مما أثار ثائرة والدى مانويل ، ولكن لم يكن بإمكانها أن يوقفا ذلك أو يحولا دونه ، كان جد مانويل لأبيه قد ترك لابنه مسؤولية ادارة المزرعة ولكن الملكية كانت لزوجته جيا طوال حياتها .

وعندما حلت الأمسية المخصصة لموكب مدينة أرل ، سحب مانويل دابون لحضور مصارعة الثيران في الحلبة ، وكانت حرارة ما بعد الظهر شديدة تلغح البشرة ، وكانت رائحة الموت تفوح في الهواء مختلطة برائحة العرق من الأجسام الكثيرة المحترقة .

وبدا أن مانويل هو الآخر كان يحس بذلك ، وقد أظهر من الطيش وعدم



المبالاة في تلك الأمسية مالم تعهده من قبل ، فعندما تحول زئير الناس في حلبة المصارعة الى ملاحظات تهكمية ساخرة بسبب عدم كفاءة أحد المصارعين هب فجأة من مقعده ، وقفز الى الحلبة ليأخذ مكان المصارع وأخذ رذاه ، ولم تملك دابون الا أن تراقبه في صمت يخيم عليه الفزع . كان يقوم بحركات ألهيت حماس المشاهدين الى نوع من الجنون فصاروا يصيحون ويشجعونه على أن يطعن الثور الطعنة القاضية .

ولكن مانويل لم يقتل الثور بل ظل يقامر مع الموت لدقائق عديدة طويلة ، وعندما ترك الحلبة لم يكن ملطخا بالدم القاني السائل على الرمال ، ووقف الثور حائرا يخفق قلبه باضطراب .

كانت دابون هي الأخرى تعاني من الاضطراب ، وقبل أن يتمكن مانويل من العودة الى مقعده انطلقت مندفعة ، ووجدتها في الخارج ترتعش وتعاني من الدوار وعندما حاول أن يواسيها ابتعدت عنه ، وهي تأبى أن تسامحه على ما سبب لها من ذعر .

وعادا الى مخيم الفجر رغم اعتراض دابون ، وقص مانويل على جيا ما حدث ، ولكن جيا اكتفت بالضحك وأخذت توبخ دابون على نقص شجاعته وكيف أنها أخطأت عندما تصورت أن مانويل لم يكن يعرف ما كان يعمل . وكانت دابون قد اهتزت بعنف لما وقع وأصبحت مقتنعة أن الحياة دون مانويل حياة بلا معنى .

كانت تلك الأمسية ذروة الأعياد في المخيم ، وكانت الموسيقى أكثر صخباً ومع ذلك أكثر تأثيراً عما سبق لدابون أن سمعته من قبل ، وهبى لها أن آلات الكمان كادت أن تصل اليها وتزق عواطفها . ولم تكد تشعر بالناس من حولها وهم يرمقونها بنظرات الاستغراب ويلمسون ثيابها وبريق شعرها الأسود الحريري وهم يتمتعون لأنفسهم بلغة فيها شيء من الموسيقى .

لقد اكتشفت ذلك سريعا . فعندما بدأت السنة النار في المخيم تلقى بعض الظلال على التراب الأسمر ظهرت جيا في ثوب القيادة النسائية أي الأم القائدة لقبيلة ، وكان يطلق على ذلك الرداء اسم فيوري داي في لغة الفجر ، وأطبق على المجتمعين في المخيم سكون أدركت معه دابون شيء من التوتر فنظرت الى مانويل الذي كان يقف الى جوارها لعله يفسرها ما يحدث . وبدت عينا مانويل ناصتين تشع منها الرقة والملاطفة ، رغم أن جميع العاطفة كان يتأجج في أعماقها .

ولم يكن بوسع دابون أن تتذكر بالتفصيل ما وقع بعد ذلك ، فقد كان مشوشا في ذهنها ، وبدأت الأحداث تتابع في سرعة ، ولم تستطع أن تتبين أن ما كان يجري في تلك اللحظات كان طقوسا للزواج تربطها هي ومانويل الا عندما تقبلتها كسرة من الحيز الملح ، كانت خائفة في أول الأمر وقد تشوش ذهنها بسبب الصياح وبسبب الموسيقى التي بدأت من جديد بطريقة أكثر حدة وأكثر إثارة للحواس فضلا عن الحشد الكبير من الفجر الذين كانوا جميعا متحمسين ليرى ما يجري من طقوس .

واستمر الاحتفال والرقص الى ساعة متأخرة من الليل ، ولكن دابون ومانويل انصرفا قبل ذلك بكثير ، وكانت جيا قد أعدت لها العربة الخاصة بها .

وعندما بدأت دابون الآن تستعرض الأحداث ، أدركت أنها هي ومانويل كانا قد سايرا مد الحواس والبهجة التي صنعها الفجر ، ولكن ذلك كان تطورا طبيعيا لما بينهما من علاقة ، وكانت مجرد ذكراها لتلك الليلة التي أمضيها سريا لجعل الدماء تندفع الى وجنتيها .

ودفنت وجهها في كفها ، وبدأت تشمر بنوع من تأنيب الذات ، لو أنها كانت قد فكرت فقط في عاقبة ما حدث ، لو أنها تبينت أن كل ما حدث لم يكن الا



مشهداً تمثيلاً أريد به أن تتاح لمانويل الفرصة لاشباع رغباته بطريقة تبدو شريفة وجميلة . وعندما تركها مانويل في الصباح التالي قبل أن تستيقظ ليعود الى منزل أسرته كان ذلك آخر عهدها به . كانت تتوقع أن يعود اليها خلال اليوم الطويل . ربما ليأخذها معه . وليقدمها الى أبويه مع توضيح لما حدث . ولكن مانويل لم يعد ثانية . وعندما حل المساء كانت دابون في حالة من الهياج . ولم يكن معها من تبثه شكواها . كانت جيا الحليف الوحيد الذي ربما يقدم لها المساعدة قد رحلت مع باقي أفراد القبيلة في الصباح الباكر . لتترك لها العربية . وبدأت الشكوك الآن تساور دابون ... ماذا يكون الحال لو اتضح أن جيا كانت تعلم منذ البداية أن كل الذي حدث كان خدعة؟ ماذا لو اكتشفت أن اختفاء جيا في ذلك الصباح الباكر كان بقصد أن تتجنب عواقب ما حدث؟ وسمعت صوت حوافر حصان جعلتها تسرع الى النافذة وتحقق في الظلام الذي تخترقه أشعة القمر . ولكن الراكب لم يكن رجلاً . بل كان مدام سلفادور . وطلبت أن يسمح لها بالدخول .

ولم تكن دابون غلظت الا أن تقف الى جوار الباب وتسمح بدخولها . رغم أن مظهرها لم يكن يحمل معه سوى الخراب . ونظرت باحتقار الى وجنتى دابون المبللتين بالدموع ثم أعلنت أنها قد حضرت بالنيابة عن مانويل . وأوضحت أن ابنها يشعر بالحجل من فعلته . وأنه لا يستطيع أن يجد الكلمات التي يعبر بها عن الأسف الذي يشعر به . وكان من الواضح أنه أخبر أبويه بكل شيء . وبالرغم من أنها لم يستطيعا أن يغفرا له ماوقع منه . فقد كانا يشعران بأنه مادم قد رجع اليها يطلب الصفح . فان ذلك كان يكفي في نظرها للدلالة على أنه قد عرف واجبه بوضوح . كان مخطوباً هو وايفون . وكانت هذه الخطبة قد تمت منذ طفولتهما . وأما عن تورطه مع دابون فان ذلك كان أمراً يمكن ان ينسى ويغفّر . ولابد أن دابون قد أدركت أن طقوس الزواج تلك كانت مجرد استعراضات

للترفيه والمرح . وأن المشاركين فيها لا ينبغي أن يأخذوها بجديّة .

وكان مع أم مانويل الدليل الحاسم على صدق دعواها . الدليل الذي قطع عليها كل شك في أن ما حدث كان هواناً وتحقيراً لها فقد أبرزت مدام سلفادور اذناً للدفع شيك بخط مانويل يدفع لها بمقتضاه خمسة آلاف جنيه من حسابها المصري بانكلترا . ولم غلظت دابون الا أن تمرق ذلك الاذن المصري وتلقي به في وجه أم مانويل . كان ذلك شفاء لقليلها رغم أنها كانت تعرف تماماً أن مدام سلفادور كانت تمنى أن يكون مصير اذن الدفع هكذا .

لم يكن أمام دابون بعد ذلك الا أن تتصرف . وتأخذ الطائرة في اليوم التالي في رحلة ما بعد الظهيرة من مارسيليا . كانت فاقدة الحس تماماً بسبب ما كانت فيه من حزن . ولم تكن تقيصة مانويل التي وقعت منه بقادرة على أن تخلصها من الذكريات التي تقاسها سويًا . لقد كان عاشقاً ولهاً . وكان مجرد الخاطر بأنها لن تراه من جديد مؤرقاً لها .

وبعد أن رجعت الى انكلترا . وبدأت آلام الشعور بالتحقير تهدأ كان من الطبيعي أن تظن أنه ربما يتبعها الى هناك . فقد كان يوسعه أن يتعرف على عنوانها من الفندق وأن يبحث عنها في انكلترا . وكانت تظن أنه ربما يندم على انتهائه العلاقة بينهما بتلك الطريقة المختصرة . ولكن ذلك لم يحدث . وبدت تلك الفترة التي قضتها في فرنسا وكأنها لم تكن جزءاً من حياتها . وحق للعملة كلارى ان تتساءل كيف يتأتى لابنة أخيها التي كانت تكتب بكل حماس عن فرنسا وعن البروفنس أن يتحول لديها كل ذلك فجأة الى بغض وكراهية . وعندما اكتشفت دابون أنها كانت حاملاً اعترافها الذهول . وكانت حالتها العقلية توحى لها بأنه لا مكان في هذا العالم لها أو للطفل . ولولا تدخل كلارى لاقتربت شيئاً رهيباً . والذي حدث أن عمتها عرفت الحقيقة منها . وبذلك استطاعت دابون من خلالها أن تستعيد قدرتها على التفكير السليم . ورغم



كل شيء فقد كانت شابة وأمامها حياة رحيمة، ولم تكن وحدها التي حدث لها ذلك الذي وقع، فكم من امرأة عانت من نفس المعاناة، واستقر رأيها على ألا تخبر مانيول بحملها.

وكانت العمدة كلاري امرأة عظيمة حقا، فقد وافقت على أن تحتفظ دابون بالطفل، وعندما ولد جونان، لقي من الحب ومن التدليل ما يلقاه أي طفل آخر، وحصلت دابون على وظيفة في التدريس، وأخذت عممتها مسؤولة رعاية الطفل، لئلا فترة عملها وكانت تعيشان عيشة راضية، لم يكن لديهما شيء الكثير من النقود ولكنها لم تكونا معدمتين ولكن عندما مرض جونان، أدركت دابون أن بإمكان مانيول أن يقدم له الشيء الكثير لو أنه عرف بمفرجه إلى قيد الحياة.

والذي حدث أنه منذ أسابيع قليلة كان الطبيب قد أخبرها أن الطفل بحاجة إلى الاستحمام من مناخ بريطانيا الرطب، وأخذت كلاري تقول لها دوما برفق أنها ينبغي أن تفعل شيئا لمعالج ذلك الطفل.

وتبصرت دابون من أمام المرأة وهي تحجب عينيها بيد متهاكة. ما الذي كان عليها أن تفعله؟ لم يكن بمقدورها أن تبقى هنا الآن وخاصة بعد أن ألفت بالنقود التي عرستها عليها مانيول ثانية في وجه أمه، وكان من السفه أن تبقى بعد الذي وقع في الكوخ، وجعلت تفكر... لقد أثبت لها بطريقة بارعة أنه قادر على تحطيم ارادتها الآن كما كان دائما من قبل.

وأخذ قلبها يندق بسرعة عندما سمعت نقرا متعجلا على الباب، وصارت تستفسر:

«من بالباب؟ ماذا هناك؟»

وجاء صوت الخادم من الخارج تقول بالفرنسية:

«هذه الهاتف يا أنسة! هل تنزلين لتردي على الهاتف؟»

وقفز قلب دابون فقد خمنت أنه لابد أن يكون هنري... وكان هنري قد أخبرها أنه سيتصل بها هاتفيا اليوم، وكانت سعيدة في قرارة نفسها لأنه كان متحمسا للقائها. كانت الساعة لم تتجاوز التاسعة صباحا، ومع ذلك فقد طلبها بالهاتف.

«سوف أنزل خلال دقيقة.»

وبدأت ترتدي بنطلونها.

كان صوت هنري رقيقا، ولكنه كان يعبر عن سرعة الانفعال، وكان يقول: «دابون؟ أوه، انني سعيد للغاية إذ أسمع صوتك مرة أخرى. كيف حالك؟» وأجابت دابون بأدب، واستفسر منها هنري بصوت ينم عن الاستغراب: «إن صوتك يدل على أنك غاضبة، هل هذا بسبب مكالمتي أو ماذا أقول؟ هل هو شيء من الانقباض.»

«لا، بالطبع لا، يا هنري انه لطف منك أن تطلبنى ولكنني أسفة، لأن على أن أرحل حالا...»

ورد عليها بصوت ينم عن خيبة الأمل يسألها:

«ماذا؟ ترحلين عن البروفنس؟»

«وأجابته:

«نعم، من الضروري أن أعود إلى انكلترا.»

وعاد يسألها:

«ولكن لماذا؟ لم يمض عليك هنا أسبوع كامل.»

وأجابته:

«صحيح ولكن، على أن أعود.»

فسألها هنري:

«متى تعتزمين الرحيل؟»



وأجابته :

«انني لست متأكدة . يكون اليوم . أو غدا . ذلك يرتبط بامكان الحجز» . وألح عليها قائلاً :

«أجلى السفر الى الغد . يادابون ! اسمحي لي على الأقل بيوم آخر في صحتك» . وترددت دابون . فبالرغم من حرصها على أن تباعد بينها وبين مزرعة سان سلفادور بأقصى ما تستطيع . كان قلبها من الضعف بحيث قبلت الاستسلام لفكرة قضاء يوم آخر في المنطقة التي لا يفصل بينها وبين مانويل سوى أميال قليلة . كان ذلك الاستسلام تصرفاً غيبياً يدل على عدم تقدير المسؤولية . ولكن فكرة السفر المتعجل كانت تجعلها تحس بالهم الحقيقي .

وأجابت على دعوة هنري الراحنة بقولها :  
«حسناً ، حسناً ، سأحاول حجز تذكري على طائرة الغد . وأحست بشيء من وخز الضمير لما اعتراها من ضعف . ولكن لم تكن لها حيلة بعد أن أجابت بالموافقة . وأحس هنري بالابتهاج وسألها بحماس :

«ما البرنامج الذي تقترحينه ؟ انني غير مرتبط بأي شيء طوال اليوم . هل تحبين الخروج للسياحة ؟ لزيارة مزارع الكروم مثلاً ؟ أم لنذهب الى ليبو أو نيمز ؟»  
وارتعدت دابون وهي تقول :

«لا ، لا ، ليس الى هناك» .

وأضافت على عجل :

«ألا يمكن . أعني من الممكن ان نذهب الى سانت ماري ؟ أقترح أن نتفدى هناك» .

وبدا أن هنري تحمس للفكرة . ورد يقول :

«بالطبع اذا كان هذا هو ماتحبين يادابون . لم يدرك بخلفي أن أقترح شيئاً بديعاً هكذا . متى تكوني على أهبة الاستعداد ؟»

وردت عليه :

«أعطني ساعة منذ الآن . انني لم أتناول طعام الإفطار بعد . كما أريد الاتصال بالمطار» .

ووافق هنري ثم وضع ساعة الهاتف . وخرجت دابون من حجرة الهاتف . وهي تشعر أنها أفضل حالاً بقليل . فلقد تأجل موعد رحيلها الفعلي الى يوم آخر . وكان يوسعها أن تستمتع ببعض الاسترخاء . وتناولت طعام الإفطار . ثم صعدت الى حجرتها لترتدي زياً مناسباً . واستقر رأيها على أن البنطلون يكون أكثر ملائمة .

كانت هناك تذكراً سفر ملغاة على رحلة ما بعد الظهر في اليوم التالي . واستطاعت حجزها . وعندما خرجت من حجرة الهاتف وجدت نفسها وجها لوجه مع مدير الفندق . وأخبرته بعزمها على الرحيل في اليوم التالي على الأرجح . وبدأ مدير الفندق يستفسر منها قائلاً :

«أوه . ياآنسة ! أرجو ألا تكون هناك أخبار قد أزعجتك من الوطن . هل حدث شيء ؟»

وهزت دابون رأسها . وهي تقول :

«لا . ولكن علي أن أعود» .

وأضافت وهي تبتسم :

«لقد استمتعت للغاية بإقامتي هنا . وأنني سوف أمتدح هذا الفندق لأصدقائي» .

ووصل هنري الى الفندق بعد العاشرة بقليل . واستقلا السيارة الى سانت ماري . كان هناك سياح وصلوا الى المكان ليزوروا الكنيسة الأثرية من القرن الثاني عشر . وكانت قصة القديسات ماري مسجلة في مقصورة الكنيسة . وأحست دابون بالأسف عندما وجدت أن المدينة الصغيرة كانت تتحول بسرعة الى مدينة تجارية حديثة . ورأت إحدى عربات الغجر التي لم تكن



موجودة من قبل . كما كان هناك العديد من الفنادق التي بدأت تغطي على الطابع التاريخي للمدينة.

وكانت الوجبة التي استمتعوا بها في أحد المطاعم الشعبية وجبة لذیذة بالفعل، وتركوا السيارة ، وجعلوا يسيران على الشاطئ مادين بعدد قليل من الزوار الذين جاؤا بمضون العطلة ويستمتعون بالدفء في فترة ما بعد الظهيرة.  
سألها هنري :

«هل أنت مضطرة فعلا أن تعودى الى انكلترا غدا؟»

وجذبت دابون يدها بعيدا برفق، ورفعت رأسها مستندة على مرفقيها، وأجابت وهي تنظر اليه:  
«أعتقد ذلك.»

ثم حولت انتباهها الى شمامة من الدخان كانت تتصاعد من إحدى السفن على مدى الأفق.

وتنهده هنري ، ثم سألها:

«ولكن لماذا ؟ ألسنت في اجازة ؟ لابد أنك تستطعين البقاء ولو لأيام قليلة أخرى.» وضمت دابون شفطيها ، وقالت :

«ليس الأمر بهذه البساطة، فان على التزامات في بلدي.»

وسألها في ملاحظة ساخرة مترفقة:

«أية التزامات يمكن أن تكون عليك؟»

وشعرت دابون أنه يستغفرها بالتدخل في شؤونها ، فحاولت أن تقطع عليه الطريق بقولها:

«أنا لا تعرف شيئا على الإطلاق عني يا هنري ، وقد أكون متزوجة.»

ورد عليها:

«ولكنك لا تلبسين خاتمًا»

وردت قائلة :

«ليس ذلك دليلا قاطعا، فكثير من الفتيات في انكلترا لا يلبسن خاتم الزواج طوال الوقت ، ولا يوجد قانون يلزم بذلك.»

وصار هنري يحرق في وجهها النخيل ، وسألها:

«ولكن هل أنت فعلا متزوجة ؟»

وترددت دابون ، وهي تقول :

«لا»

واسترخى هنري ، ثم بدأ يميل نحوها، وهو يقول:

«ها أنت قد اعترفت اذن . والآن ألا يمكن أن تطيلي اقامتك هنا ؟ فقط لتسعديني؟»

وهزت دابون رأسها بحزم ، وهي تقول :

«لا ، لا أستطيع.»

وأخست دابون بالخطر فنهضت بسرعة لتجلس ولتجنب النظرة العاشقة

من عينيه ، وقالت له بشيء من التوتر:

«أرجوك يا هنري ! أرجوك ألا تفسد كل شيء.»

ورد هنري :

«لماذا أفسد كل شيء ؟ كنت أظن أنك تستلطفيني.»

وأجابت دابون وهي تشبك أصابعها حول ركبتيها المرفوعتين الى أعلى.

«انتي فعلا استلطفك يا هنري ، ولكنني لا أريد أن أتورط»

وعندئذ سمعته يقول :

«وما الذي تريدني مني اذن ؟»

وبدأت تدرك أنه لم يكن ناضجا بالقدر الذي أراد أن يعبر به عن نفسه، اذ

استمر يقول :



«لقد سمحت لي أن أدعوك الى الغداء، وسمحت لي بأن أحضرك هنا حيث نكون وحيدين، ثم تقولين انك لا تريدان أن تتورطني الى هذا الحد؟»  
حملت فيه دابون بشيء من الكآبة، وبدأت تشعر بخوف حقيقي حاولت أن توضح له قائلة:  
«هنري أرجوك».

وفجأة انتبه هنري الى وجود مانويل واقفاً يحدق فيهما.  
فحدثه بالفرنسية بشيء من التأنيب:  
«مانويل! ألا تعرفني؟ أنا هنري».  
وتصلب فك مانويل وهو يقول:  
«ليس الآن، ياهنري انني لست على استعداد للهزل الآن».  
وقتم هنري بالفرنسية، وهو يمسح خده بيده:  
«واضح!».

وأضاف بالانكليزية:  
«لا أكاد أفهمك يا مانويل، ما الخطأ الذي ارتكبته أنا؟»  
هل تعرف الأنسة كنج؟  
كانت عينا مانويل كنيبتين، وأجاب ببرود:  
«نعم، أعرف الأنسة كنج».

وصار هنري يهز رأسه بطريقة مرتبكة، وهو ينتظر في دهشة تجاه دابون، ولكن دابون كانت مشغولة بارتداء سترتها وبنطلونها فوق رداء البحر المبتل، ولم تلتفت اليه.

وعندما أكملت لباسها قبض مانويل على ذراعها كما لو كانت أئمة، ثم أوماً إيماءة قصيرة تجاه هنري، ودفعها أمامه بسرعة على طول الطريق الرملي الى حيث كانت الحافلة الصغيرة تنتظر، وفتح الباب، ودفع دابون بقوة الى

لنالي الصنوبر

الداخل قبل أن يصعد خلفها ويدير المحرك في الحال، وبدأت المركبة الثقيلة تدور على هيئة شبه دائرة وتجري بارتظام على الشاطئ، غير الممهدة حتى وصلت الى الطريق. وكانت دابون تجلس في مقعدها متصلبة تشرح بفكرها تحاول أن تعرف من أين جاء؟ ولماذا جاء الى هذا المكان؟

www.mlaazna.com  
dalia cool



## ٧ - وانكشفت الحقيقة

نظرت دابون إليه بشيء من الرفض ، وبعدما كانت تحس له بالجميل لأنه تدخل في الوقت المناسب وأنقذها من هنري ، تحول شعورها الى نوع من الامتعاض ، وأخذت تسائل نفسها ، بأي حق أباح لنفسه أن يتدخل في شؤونها ؟ وكانت قد وصلت الى قناعة بانها لن تراه ثانية بعد ما حدث بينها امس ، فما الذي جاء به خلفها؟ ولماذا بحث عنها؟ وماذا يريد منها الآن واستعدت من شعورها بالضيق بعض الشجاعة ، وسألته :  
«أين تذهب بي الآن؟»

وألقى تجاهها نظرة تنم عن الاستكفاف ، ثم أجاب بوضوح :  
«لم أفكر في هذا بعد ، لكنني أظن أنه من الأفضل أن تتخلصي من رداء البحر وأن تحبقي نفسك جيدا ، أليس كذلك؟»  
واتسعت حدقتا عينيها وسألته :  
«ماذا تعني؟»

وضاقت عيناه ، وهو يقول :  
«لا تتعجلي الاستنتاج ، يادابون ، ولا تحسبي أنني أبله لأنك تبدين على استعداد لتكوني لعبة سهلة في يد أي رجل كان ، فان ذلك يعني...»

واستثير سخط دابون ، وجعلت تقول:

«كيف تجرؤ على ذلك ؟ كيف تجرؤ على أن توجه مثل هذا الكلام لي.»

وتهدج صوتها وقد شعرت بالمذلة. وقالت :

«أوه ، انني أكرهك ، يامانويل!»

ولم يتحرك مانويل فقد بقي حيث هو ، وأحست وهي تقف وحيدة على حافة المياه الزرقاء الضحلة أنه قد جعل منها ماثارا للسخرية. كان الجو ساخنا ، وبدأت الشمس تلتفح رأسها ، واضطرت آخر الأمر أن تعود لتستظل بشجرة البلانسية المائية.

وخرج مانويل من السيارة وفي فمه سيجار ، وبين يديه منشفة خشنة ، وألقى بها نحوها ، وهو يقول :  
«إليك هذه. انها ليست مغرية ، ولكنها نظيفة على الأقل ، أحتفظ بها للمناسبات التي أحس فيها برغبة للاستحمام بعد يوم مجهود يستنزف العرق ، هيا خذيها. انها ليست ملوثة.»

وصارت ترشش بالماء لبضع دقائق وهي تنظر تجاه الحافلة الصغيرة من بعد ، وبدأ أن مانويل لم يكن يكثر بما تفعل واضطرت في النهاية أن تخرج من الماء ، وبينما هي تخوض في الماء نحو سيقان الغاب والبوص التي كانت تحدد حافة المستنقع ، سمعت صوت رشاش من خلفها جعلها تلتفت وراها في رعب ، وعلى بعد أقدام منها كان أحد ثيران كامارغ القوية السوداء يضرب الأرض بعوافره ويخفض قرونه بطريقة تنم عن التهديد.

وبدت دابون للحظة ، وكأنها قد تحجرت ، تعجز عن أن تفكر فيما ينبغي أن تفعل ، كان الثور وحيدا ، وهذا في حد ذاته كان شيئا غريبا ، ولم يكن بوسعها الا أن تفترض أنه قد شرد عن القطيع دون أن يلحظ الحراس ذلك ، وكان ثورا



أسبانيا ضخما وقويا من الثيران التي تربي لرياضة المصارعة، وهيء لها أنها ستصبح طريحة على الأرض وقد ضربها الثور بقرنه فجرحها وشوهها وسالت بقع من دمانها تلتطخ مياه المستنقع، وسيطر عليها شعور بأن ذلك سيكون أمرا حتميا خلال لحظات فقط

وبدأت دابون تتراجع ببطء بعيدا عن الحيوان، وهي تحرص تماما على ألا تصدر عنها أية حركة غير منضبطة قد تثير الحيوان فيندفع في هجوم عليها، وكان الحيوان بدوره يرقبها بعينيه اللتين تشبهان حبات الخرز وهو يصدر صوتا يشبه الشخير ويضرب بذيله ليطرده الحشرات التي كانت تستثيره، وخطا بضع خطوات في المستنقع وهو يهز رأسه من جانب الى آخر، وبدأت دابون تفقد اعصابها.

وسمعت أصوات الطرشة المزعجة خلفها، وأدركت أن الثور كان يخوض في الماء عبر المستنقع وراءها، ولم تكن تجرؤ على أن تنظر الى الوراء ورأت مانويل يسرع اليها من الحافلة الصغيرة ويبيده عصا ثقيلة، وصار يخوض في مياه المستنقع دون أن يكثر بحذائه الجلدي الرقيق، واجتاز دابون وهو يصيح: «اصعدي الى مؤخرة السيارة»

وأذعنت دابون فتسلقت من خلال الباب الخلفي للسيارة الى سطح خشبي خشن تنتشر عليه كمية من الحبال والبكرات تنبعث منها رائحة الأحصنة بطريقة نفاذة.

وتنحى الثور جانبا عندما ظهر مانويل، وتوقف على مسافة من الحافلة الصغيرة بواصل الشخير ويضرب الأرض بحوافره تعبيرا عن الغضب، وأدركت دابون أنه كان يستعد للهجوم، ولم يكن مع مانويل ما يدفع به عن نفسه سوى تلك العصا التي كانت بيده، وصارت دابون ترقب المشهد بيأس وهي

تتمنى أن يستدير مانويل وأن يجري مهرولا الى السيارة.

وأخيرا بدأ مانويل يتراجع عن الثور، وعندما بلغ مؤخرة الحافلة الصغيرة دفعت دابون الباب لينفتح ويسمح له بأن يتسلق الى داخل العربة، وكانت الآن ترتعش بعنف، ونظر الى وجهها المرتعد قبل أن يمسك بكتفيها ويسحبها بقوة. وتراجع مانويل الى الوراء، وجلس في وضع محدودب، رجلاه مضموستان ومرفقاها يستندان على ركبتيه، ورأسه محية الى أسفل، ويداه تحيطان بمؤخرة رقبته، وأخذ يقول في نبرة معذبة:

«يا الهي، يا الهي، أنني أريدك يادابون»

كانت دابون تضطجع على أرض العربة حيث تركها، وشفتاها ملتفتان، وشعرها يتدلى كأنه غمامة قائمة تلفها، وقامت بصوت فيه ألم: «مانويل!»

استدار مانويل فجأة الى باب الحافلة الصغيرة ودفعه فانفتح، وقفز الى الخارج، وهو يلعن بعنف، وصار يأخذ شهقات طويلة من الهواء الدافئ الحلو. وأجبرت دابون نفسها أخيرا على التحرك، وبدأت تحس بالحبال أسفل جسدها، وكانت بشرة ظهرها قد أصبحت مشدودة ملتفة، وأخذت تحجف نفسها بالمشقة، وخلعت رداء البحر ولبت بنطلونها وقميصها، وشعرت بأنها قد أصبحت في حالة أفضل، وخرجت من المركبة، وأخذت تعصر المياه الزائدة من الرداء القطني الليموني.

وعندما أحس بها مانويل وهي عند الباب الخلفي للسيارة التفت ورجع اليها متباطئا بعد أن ألقى بعقب السيجار الى الأرض وضغط عليه بكعب حذائه، ومضت عيناه عليها عن عمد، ثم أخذ يسير بخطى مسرعة الى مقعد القيادة، وجلس خلف العجلة، وضمت دابون شفتيها سويا وهزت كتفيها وفعلت



بالمثل فتسلقت الى السيارة وجلست الى جواره بشيء من عدم الاستقرار.  
ولم يدر مانويل المحرك في الحال، بل أسند مرفقه الى عجلة القيادة، وصار  
يصلق في الفضاء الى المجهول ثم قال بنبهه عادية تماما:  
«كان يوسعي أن أقتلك»

ولمحت دابون، ووضعت ظهر يدها على فمها، وأخذ ينظر اليها شزرا، وعيناه  
تضيقان وهو غارق في التأمل، وسأها بشيء من الاحتقان:  
«ماذا كنت تنتظرين؟ تعودين الى هنا في الوقت الذي كنت فيه قد بدأت أتقبل  
مصيري المحتوم، وتحطمين ما بقي لي من اطمئنان نفسي، وهو قليل»  
وهزت دابون رأسها، وهي تقول:

«أسفة، ولكنني لم أكن أعرف أن الأمور كانت ستصل الى هذا الحد»  
والتوت شفاهه، وهو يقول:

«حقا لم تكوني تعرفين! ومتى تعرفين بالضبط كيف يكون رد فعلي عندما أراك  
ثانية؟»

وأصر وجهها بشدة، وهي تقول:

«كيف كان بإمكانني أن أعرف ذلك؟»  
وحلق فيها مانويل بغضب.

«كيف جاز لك أن تجهلي ذلك بعد كل ما كان بيننا؟»

وطأطأت دابون رأسها، كانت تكابد الألم، وكانت تريد أن تخبره بالسبب  
الحقيقي الذي جعلها تأتي الى هنا، ولكن كانت هذه في نظرها هي اللحظات  
الخطيرة، اللحظات التي ينبغي فيها أن تأخذ حذرهما حتى لا تعترف بشيء ربما  
يجلب لها الدمار. ورغم كل شيء فقد كان يعترم الزواج من ايفون بصرف  
النظر عن فرط انجذابه اليها، ولم يكن لجوناثان مكان في ذلك البيت حتى لو

اقتنعت هي بالتنازل عنه. وأخذت تقول له:

«أرجوك، أرجوك أن تأخذني الى الفندق، لازال أمامي حزم أمتعتي، فاني أعتزم  
الرحيل في الصباح»

وعندما سمعها تذكر خير رحيلها بهدوء، وقال وكأنه قد صعد:

«تعتزمين ماذا؟ ولكنك لا تستطعين!»

وعندما كررت العبارة، اضاف بنهم:

«لا يمكنك ذلك فانك لم تأخذي النقود فضلا عن ذلك فان جيا تريد أن تراك  
مرة ثانية»

وردت دابون بشفتين مضمومتين:

«أسفة، لن أستطيع أن أحقق طلبها، لقد حجزت تذكرة السفر»

ولولا أن دابون كانت تعرفه جيدا لقالت ان الألم المبرح كان ينبعث من

أعناق عينييه الرماديتين، وهو يقول:

«أنتي الحبيب»

وبللت دابون شففتها الجاهلتين بلسانها، وهي تهيب:

«لا، لا، لا أستطيع»

«لا يمكن أن تفعل هذا في يادابون»

وتعثرت دابون وهي تنطق في صوبة:

«أفعل ماذا؟»

وأجاب وهو يتأوه:

«أنت تعرفين أرجوك، انني أتوسل اليك، لاتذهبي»

وبلعت دابون ريقها بطريقة ملحوظة، ثم قالت:

«أنا مضطرة للرحيل»



واقمت عيناه، وهو يلح في السؤال :

«لماذا؟ من الذي ينتظرك في أنكلترا؟ هناك رجل آخر؟ انك تكذبين علي.»

وصارت عينا دابون تتوسلان اليه لكي يصدقها، وهي تقول:

«انك مخطيء، ليس هناك رجل آخر.»

وحدث مانويل في وجهها، وأصابه لاتزال حول مؤخرة رقبته، وصار

يسأل:

«اذن، أين تسكنين؟... لقد أخبرتي ذات مرة أنك تسكنين مع عمك في بيتها؟»

هل لازلت هناك؟»

وأخذت دابون تتنفس أنفاسا قصيرة، وهي تقول :

«أوه ! نعم ، نعم.»

كان مانويل يتفحصها في صمت وهو يحاول أن يعرف اذا ما كانت

صادقة أم كاذبة، ثم قال بصوت مبحوح :

«وهذه الجنيهاات الخمسمائة ؟ هل هي لعمتك؟»

وسحبت دابون نفسها بعيدا عنه، ثم قالت :

«اذا كان يسعدك أن أقول نعم، حسنا، نعم أريدها لعمتي.»

وأمسك مانويل بحفنة من شعرها، وجعلها تجفل وهو يلوي الشعر حول

أصابعه وهو يقول :

«أوه دابون.»

«قل لي، لماذا أنت وايغون أجلنا الزواج هذه الفترة الطويلة؟»

وتقطب حاجباه في عبوس عميق.

واقمت ملامح مانويل فجأة فأطلقها كما لو كانت ذكرى خطيئته قد

أرجعته الى وعيه وظنت دابون لفترة لحظة أنه لن يكلف نفسه عناء الاجابة،

ولكنه بدأ يقول:

«ان ايغون مصابة بالشلل، ولقد حدثت هذه الاصابة بعد رحيلك بثلاثة

أشهر، ثم أجريت لها عدة عمليات جراحية، واستغرقت هذه العمليات وقتا طويلا،

وسوف تجري لها عملية جراحية أخرى خلال أسابيع قليلة، ولقد ظهرت بالفعل

بعض بوادر التحسن، ويعتقد الجراحون أن العملية القادمة والأخيرة سوف

تعطيها الفرصة لتستعيد قدرتها على المشي.»

وكانت دابون قد فهمت ما يرمي اليه، كانت ايغون ستصبح من جديد

امراة عادية، تستطيع أن تحيا حياة زوجية وأن تلد له الأطفال الذين هو بحاجة

اليهم ليحافظوا على سلالة سان سلفادور.

وأخذ مانويل الآن يسألها بصوت معذب :

«أحقا تفهمين ؟ أترين وراء تصرفك أي شيء غير اهتمامك الفردية والأنانية؟»

وحسبت دابون أنفاسها، وقالت :

«لن يؤدي بنا هذا الحوار الى شيء، يامانويل، ومن الأفضل أن تأخذني الى

الفندق.»

وأطبق مانويل قبضة يده لحظة، وأدار محرك السيارة دون أن ينبث بكلمة،

وقاد السيارة قيادة ناعمة الى أرل، ولم يتبادلا الحديث طوال الرحلة، فقد كان

كل منهما مشغولا بأفكاره الخاصة وعندما توقف مانويل أمام الفندق كانت

دابون تحتاج الى قدر عظيم من قوة الأعصاب لتواجهه قائلة:

«أشكرك والى اللقاء.»

وبدا مانويل، وكأنه يتأهب ليقول شيئا، ثم غير رأيه ولم يتكلم، واكتفى

بأن فتح لها باب العربة بقوة، وبعد أن ترجلت أخذ يقود السيارة بسرعة شديدة

بعيدا عن المكان.



وحوالي التاسعة والنصف مساءً كان هناك طرق خفيف على باب الغرفة،  
وشعرت دابون بالدهشة مع شيء من الخوف، ولم تستطع أن تخمن من القادم،  
وكانت لا ترغب في الحديث الى أي شخص آخر ماعدا مانويل، ورغم ذلك فلم  
يكن القادم هو مانويل، وسمعت صوتاً نساءً من الخارج ينادي :

«دابون، دابون، هل تسمحين لي بالدخول؟»

وانتهت دابون الى الباب، وفتحته، وصاحت في دهشة:

«لويزا! ماذا تفعلين هنا في هذه الساعة من الليل؟»

وابتسمت لويزا ابتسامة عريضة، وقالت ببساطة، وهي تبرز مظهرها:  
«لقد جئت في مهمة لتسليم رسالة. لقد طلب مني مانويل أن أعطيك هذا.»

ونظرت عبر حجرة النوم الخالية، وهي تقول :

«هل يمكنكين الدخول؟»

وأخذت دابون المظروف بأصابع مرتعشة، مالبت أن استعادت هدوها.

وقالت :

«أوه، بالطبع. ادخلي، ولو أنني ليس لدي شيء أقدمه لك.»

وابتسمت لويزا، وهي تقول :

«هذا غير مهم. أنني فقط أريد فرصة للتحدث معك برهة.»

وأضافت بشيء من العبوس:

هل تعدين حقائبك؟ وهل تعلم مانويل بذلك؟»

وأجابت دابون، وهي تتظاهر بالابتهاج، وقد ألقت المظروف في جيب

بنطلونها لتفتحه فيما بعد:

«نعم، لكلا من السؤلين. أرجوك أن تجلسي.»

«هل جئت وحدك الى المدينة كل هذه المسافة؟»

وأومأت لويزا، وقالت :

«حسناً، أنني أستطيع القيادة، كما تعرفين، فضلاً عن أن مانويل يحرص على  
أن تكون جميع السيارات في حالة ممتازة حتى لا تتعرض لخطر العطل على  
الطريق...»

وتنهدت، وقالت :

«والآن - لماذا ترحلين بهذه السرعة؟ ألا تستطيعين البقاء لأيام قليلة أخرى؟ لقد  
سمعت أن جدتي تود أن تراك مرة ثانية.»

وأجابه دابون :

«نعم، أنني أيضاً أعرف ذلك، ولكنني أسفة، ان ذلك غير ممكن، وعلى أن أعود.»  
وعضت دابون شفيتها، وهي تبحث عن موضع آخر للكلام، ثم قالت :

«لقد كبرت بالفعل، كنت تبدين طفلة صغيرة من قبل.»

وضحكت لويزا، وهي تقول :

«أشكرك، ولكن دعيني أقول لك ببجدية، أنني لم أحضر الى هنا للحديث عن

نفسي، ولكنني جئت لأتحدث معك عن مانويل.»

واحمر وجه دابون، وهي تقول بأكتئاب :

«من الأفضل ألا نتحدث في هذا الموضوع.»

وسألت لويزا :

«لماذا؟ ألا يهمك هذا الموضوع؟»

سألت هذا السؤال وهي ترقبها باهتمام.

واقم وجه دابون، وتمتمت بارتباك :

«ربما...»

وسألتها دابون :



«هل أخبرك ، لماذا هو وايغون لم يتزوجا حتى الآن؟»

وهزت لويزا كتفها ، وقالت :

«ألمح فقط الى ذلك .»

واستمرت لويزا تلح :

«لقد ذهب يقتفي أثرك اليوم ، أليس كذلك؟»

وقطبت دابون ، وهي تقول :

«ماذا تعنين؟»

وصارت لويزا تشرح ما حدث :

«لقد حضرت اليوم الى هنا في فترة ما بعد الظهر لأراك ، وأخبرني مدير الفندق

أنك خرجت مع احد الشبان الى سانت ماري على الأغلب ، وعندما رجعت الى

مانويل أخبرته بهذا خرج غاضبا»

وبدأت دابون تفهم لماذا ذهب مانويل الى سانت ماري ، وهي تقول :

«أنني أفهم الآن .»

وأكملت بشفاة مرتعشة :

«كنت أتعجب ، هذا هو ، نعم ، وجدني.»

واستمرت لويزا :

«ولو سألتني ، كان مانويل في حالة من الغيرة كأنها الجحيم.»

ولكن دابون التفتت في اتجاه آخر ، وهي تتظاهر بأنها منشغلة بوضع

السترات الصوفية في حقيبة السفر ، وأحست دابون بشيء من الضيق عندما

ساد بينهما الصمت ، فقطعت ذلك الصمت قائلة:

«كان الجو اليوم دافئا للغاية.»

وعلقت لويزا :

«نعم!»

ثم اقتربت من الفراش وجثمت على حافته ، وهي تقول :

«أخبريني هل أخبرك مانويل كيف وقع الحادث لايفون؟»

وتنهدت لويزا وهي تفكر بامعان ، ثم استمرت تقول :

«الذي حدث أن مانويل سقط من فوق ظهر الحصان ، وكسرت فخذه ، وظل

يعاني بعض الوقت ، واقتضى ذلك بالطبع أن يلزم الفراش وكان ذلك على عكس

طبيعته.»

كانت دابون خلال ذلك تحمق في الفتاة بعينين تعكسان الاهتمام البالغ ،

وأخذت تستحشها على الكلام.

«استمري ، ماذا حدث عندئذ.»

وأرادت لويزا أن تغيظها ، فقالت :

«أراك قد بدأت تهتمين الآن ، أليس كذلك؟»

وعندما رأت لويزا أن علامات القلق الحقيقي قد ظهرت على وجه دابون

التحيل المتوتر ، توقفت عن الاغظة ، واستمرت تقول :

«أسفة ، سأكمل . كما قلت لك ، كان ذلك بعد أن شفي مانويل وغادر الفراش.

حدث بينه وبين ايفون شجار عنيف حول شيء لم أكتشفه بعد. والذي حدث

بعد ذلك أن ايفون خرجت الى الزرائب ومعها سوط.»

وحملت دابون تجاهها في رعب ، وهي تقول :

«أوه ، لا.»

واستمرت لويزا :

«أوه ، نعم ، ان ايفون يمكن أن تصبح غابة في القسوة عندما تريد. ولسو الحظ

فان الثيران التي كانت في الزرائب في ذلك الوقت كانت ثيرانا هانجة . تنتظر أن



يبتاعها أحد الزبائن، وكان اثنان منها قد هربا.

وهنا كزت لويزا شفتها :

«ولا يمكنك أن تتصورى كيف كان المشهد : الصراخ ، خوار الثيران»

وهزت لويزا رأسها :

«لقد أنقذ مانويل حياتها، ولكنها لم تكن تستحق أن تعيش».

وقاطعتها دابون قائلة :

«لويزا !»

واستمرت لويزا تقول :

«أننى أقول الصدق . لو أنك رأيت أثار الضرب على ظهر تلك الحيوانات

المسكينة !»

وتهدج صوتها من الانفعال ، وشمرت دابون بالدوار . كانت القصة كما

روتها لويزا أسوأ بكثير مما كانت تتصور ، ووضعت ذراعها حول الفتاة

المرتعدة ، وهي تقول :

«لقد مضى هذا الآن يا لويزا . ولقد دفعت ايفون ثمن ما اقترفته».

ورفعت لويزا بصرها بسرعة ، وهي تقول :

«هل تعتقدين ذلك ؟ هل تعتقدين حقاً انها قد دفعت الثمن ؟»

وسألت دابون :

«ألا تعتقدين أنت ذلك ؟»

وأجابت لويزا ووجهها الدقيق يعبر عن المعاناة :

«لا، اننى لا أعتقد ذلك. على العكس ، لقد حصلت على كل ما أرادت. انها

تعيش الآن في بيت سان سلفادور».

وسألتها دابون :

«ماذا تعينى ؟»

واستمرت لويزا تكمل القصة .

وطأطأت دابون رأسها، ثم قالت :

«لا أعتقد أن مانويل يتخلى عن ايفون لهذا السبب».

وردت لويزا :

«ولا أنا أيضاً... ولكن ذلك لا ينبغي أنه ينبغي أن يصحح تفكيره في الموضوع».

وهنا ارتفع صوت لويزا الرقيق المغمم بالانفعال ، وهي تقول :

«ألا ترين يادابون أن مانويل لا ينبغي أن يتزوج بايفون . انها شريرة.

ألا ترين أنها سوف تفعل له ما فعلته لتلك الحيوانات! أوه ، ليس بالكرباج طبعاً.

انها أكثر مكرماً من ذلك، وكل شيء ينتهي الى النتيجة نفسها.. ألا ترين أنها

تجعل نتيجة ما حدث ولكنها تلومها عليه قائلة انها لو لم يتشاجرا ماكان ذلك

الحادث ليقع».

وأمسكت بيد دابون ، وهي تواصل .

«ارجوك ألا تذهبي يادابون ابقى ودافعي عن مانويل . انسى ماضى وفكرى

في المستقبل».

وهزت دابون رأسها ، وهي تقول :

«كان لطيفاً منك أن تخبريني بذلك ، يا لويزا ، ولا تظني أننى لا أفكر لك

ذلك».

أطلقت لويزا تنهيدة ، ثم خطرت لها فكرة . فقالت :

«أقول يادابون ، تعرفين كما أخبرتك - أن مانويل كان يريدنى أن أذهب الى

سويسرا لمدة سنة، ما رأيك لو طلبت منه أن يرسلنى الى انكلترا بدلا من

سويسرا. لا أقصد بالطبع أن أعيش معك، فأنى لا أستطيع أن أنجراً على مثل



هذا الطلب ، ولكن ربما لأكون قريبة لكي نرى بعضنا بعضا .

وكاد قلب دابون أن يتوقف ، وقالت :

«أ، أعتقد أن هذه الفكرة ليست سليمة تماما، ليس على الأقل الآن»

وردت لويزا :

«ولكن ذلك لن يكون طوال الوقت بالتأكيد ؟ أقصد ستكون هناك بعض الأمسيات نستطيع فيها أن نتقابل ، وستكون هناك بين حين وآخر عطلة آخر الأسبوع . أوه، أنني أدرك أن لك أصدقاءك الخواص بالطبع ، ولكنني أحب أن أراك أحيانا»

وهزت دابون رأسها وقالت :

«لا لا أعتقد أن ذلك بالامكان ، يا لويزا»

وحديث لويزا كتحفيها ، وقالت :

«كنت أظن أنك تحبينني»

وأسرعت دابون تؤكد :

«أنني بالفعل أحبك يا لويزا . أحبك ولكن بأمانة فان الموضوع ليس هكذا .

انتي عندما أرحل من هنا ، لا أريد علاقات تطول أكثر مما ينبغي مع أسرتك»

واستفسرت لويزا :

«تقصدين علاقات مع مانويل ؟»

ووافقت دابون :

«حسنا ، مع مانويل»

ونفضت لويزا على قدميها ، وهي تقول :

«لا أكاد أفهم ، لماذا ، وإذا شئت فأنتي أعديك بالآلة وفتحت لويزا الباب ، وهي

تقول :

«أسفة اذا كنت قد سببت لك بعض الارتباك»

وأمسكت دابون بيد لويزا بشعور لايقاوم ، وهي تقل :

«على العكس ، انك لم تربكيني بالمرة . أنني أيضا أشعر بالأسف»

وهزت لويزا كتفيها ، وقالت :

«ليس على الإطلاق . الى اللقاء يادابون»

وردت دابون وهي تبتسم :

«الى اللقاء»

وما أن خرجت لويزا وأغلقت الباب خلفها حتى بدأت الدموع الحبيسة تنهمر على وجنتيها .

وعندما عادت دابون لتحزم حقائبها من جديد ، أحست المظروف في جيبها ، يذكرها بأنه لا يزال هناك . وفتحته بأصابع مرتعشة ، فسقطت منه جذاذة من الورق استقرت على أرض الحجارة ، وانحنت لتلتقطها على مضض . كانت اذن دفع (شيك) قابل للسحب بمبلغ خمسمائة جنيه على أحد المصارف الانكليزية .

وبينما كانت تحمل حقائبها الى السيارة في الصباح التالي ، دق جرس الهاتف في الكشك الواقع في الردهة محدثا بعض الضوضاء ، واتجه السيد ليون ليرد على الهاتف ثم ناداها على الفور :

«انها مكالمة لك يا آنسة ، من انجلترا»

ومست قلبها قشعريرة من شر منتظر ، وجذبت الهاتف من السيد ليون ،

وقالت لاهثة :

«نعم ، نعم ، أنا دابون ، من المتكلم»

وجاءت الاجابة :

«دابون ! أنت التي تتكلمين ؟ أنا السيدة رينولدز»



كانت السيدة رينولدز إحدى جارات العمة كلارى ، وبدأت وسواس دابون تتحول الى خوف حقيقي ، واستفسرت :  
«نعم ياسيدة رينولدز ؟ ما الخير ؟ هل حدث شيء؟»

كان صوت السيدة رينولدز يحاول أن يهدي من روعها ، وواصلت تقول :  
«أرجو ألا تهلمي : يادابون . ان الأمر ليس خطيرا يا حبيبتي . ولكن عمك زلت قدمها في الحديقة فسقطت ، وكسرت ساقها . لا تقلقي ، هي ليست في المستشفى ، ولكن بالطبع هي تعجز الآن عن أن ترعى الطفل.»

كان خيرا مزعجا أن تصاب ساق العمة كلارى ، ولكن دابون شعرت شعورا غامرا بأن القدر كان رجييا ، وأجابت على ملاحظة السيدة رينولدز بقولها :  
«بالطبع انها لا تستطيع ذلك الآن.»

وبدا صوتها يعبر عن شعورها بالامتنان لرحمة القدر .  
«ولكن اطمئني يارينولدز أخبريها أنني عائدة الليلة . لقد بدأت أستعد فعلا

للرحيل ، وسيكون بوسعي أن أرعى جوناثان بنفسى.»  
وعبرت السيدة رينولدز عن رضاها بضحكة خافتة ، وهي تقول :  
«ستكون معلمة تماما ، يادابون ، حسنا ، سوف أذهب اذن . الى اللقاء.»

وردت دابون :

«نعم ، نعم ، بالطبع ! أشكرك على الاتصال بى.»

وجاء صوت السيدة رينولدز :

«هذا حسن ، يادابون . الى اللقاء.»

وأجابت دابون :

«الى اللقاء.»

وأعادت دابون الساعة ، وبينما هي تفعل ذلك أحست بشبح يظلل الكشك

الصغير ، ولم تكد تحس بذلك الاحساس حتى كانت يد صلبة قد امتدت الى بشرتها الطرية في كتفها تجذبها بما يشبه العنف خارج الكشك لتقابل الرجل في الخارج ، وطشت عندما قرب مانويل وجهه الأسمر الوسيم الى وجهها ، وجعل يسألها بقسوة :

«من يكون جوناثان ابنتها الكذابة الصغيرة؟»



الذين بدأوا يتتبعون ما يدور بينها، وصار يقول:  
«أنت السبب . لم أستطع أن أخلف . أرجوك يادابون ، لاتصيري على أن تفعل  
ذلك في.»

وبللت دابون شفتيها الجافتين ، ثم قالت :  
«لا بد من الرحيل ، يامانويل !»

وتصلبت أصابع مانويل على رقبته ، وهو يقول :  
«أعرف . نعم . تريد أن تعودى الى انكلترا ، الى جوناثان . لن أتركك تذهبين.»  
وحبست دابون أنفاسها ، وهمست في رهبة :  
«ماذا تنوي أن تفعل ؟ تبقيني هنا في أرل بنفس الطريقة التقليدية التي يسلك  
بها الفرنسيون؟»

وضغطت أصابعه بوحشية على رقبته لحظة ، وكادت أن تصرخ من الألم  
ولكنه أرخى يده وهو يتمتم بشدة:  
«أنتي لا أستحق ذلك منك.»

واستفسرت دابون وهي لا تجرؤ على النظر في عينيه :  
«ألا تستحق ذلك بالفعل؟»

كان مجرد النظر اليه كافياً بأن ينتهي بها الى كارثة ، ولم يكن يوسعها أن  
تصمد أمام الآلام المبرحة التي كانت تنتظر أن تراها على وجهه . وعاد يسألها:  
«أرجوك يادابون ، أنتي أسألك لآخر مرة ، هل جوناثان هذا هو الذي من أجله  
تحتاجين الى النقود؟»

وترددت دابون ثم طأطأت رأسها ، وأخيرا قالت :  
«نعم انها لجوناثان.»

ومد مانويل يدا متوترة الى رأسه ، وجعل أصابعه تتخلل شعره ، وهو

## ٨ - طفل مريض ورغبة لاتطاق

تراجعت دابون الى الخلف خطوة ، واضطر مانويل أن يرخي قبضته  
عليها ، وكان هناك أشخاص في الردهة بدأوا يرمقونها بنظرات الفضول ، وبدأ  
مانويل يخاطبها بلهجة تتم عن حرصه على اقناعها:

«من الضروري أن أتحدث اليك . ليس هنا ، وإنما في حبرتك»  
ونظرت دابون حولها وهي ترتعد ثم قالت :

«ليس لدى وقت يامانويل ، وعلى أن أتجه الى المطار.»

وألح مانويل في اقناعها:

«سأوصلك الى المطار.»

واعترضت موضحة :

«لا ، لا ؛ ان على أن آخذ السيارة ، وأتركها هناك.»

ورد مانويل :

«لتذهب السيارة الى الجحيم . أنتي أحذرك يادابون !»

وجولت دابون وجهها بعيدا عنه ، وهي ترتعش :

«لماذا جئت ؟ كنت أظن أنك بعد أن أرسلت اذن الدفع...»

ولس أصابعه رقبته ، وصارت تتلصق على بشرتها دون أن يكثرث بالمشاهدين



يقول:

«يا الهي»

وشدت دابون كتفيها ، وقالت :

«هل بإمكانني أن أنصرف الآن ؟»

وكظم مانويل لعنة كاد ينطق بها ، ثم قال بوقاحة:

«نعم. اذهبي. اذهبي. عليك اللعنة»

وتركها وسار الى باب الفندق دون أن ينبث بكلمة.

\*\*\*\*\*

كان الجو مطيرا عندما هبطت الطائرة في مطار لندن ، وكانت دابون ترتعش وهي تجتاز الأسفلت الى مباني المطار ، واستقلت الحافلة العامة الى المحطة النهائية ثم استقلت حافلة أخرى . وكان بيت العمه كلارى في صف صاعد من البيوت المتدرجة ، ورغم أن واجهة المنزل كانت عادية الا أنه كان يطل من الخلف على ملعب المدرسة وكانت هذه ميزة خاصة.

ونزلت دابون من الحافلة عند نهاية الطريق ، واتجهت مصعدة الى المنزل رقم ٥٣ وكانت ترقب الستائر المزركشة على النوافذ تهتز بخفة ، وخطر لها أنه من الأفضل ألا يعرف أحد بعودتها حتى لاتدع فرصة للتساؤل حول أين كانت ، لماذا ذهبت ؟

وأخرجت المفتاح ، وفتحت باب منزل العمه كلارى وتبع ذلك وقع صوت خطواتها ، وفتح باب في نهاية الدهليز وبدا طفل صغير جميل يلبس بنطلونا أزرق وصديريا أبيض مشوبا بزرقة. كان شديد الشبه بمانويل ، الأعين

الرمادية ، الأنف ، الفم وشعر مانويل الأسود بفارق بسيط أن شعر جوناثان كان يميل الى التجعد . وكان ذلك الشبه الوثيق مما جعل قلبها يتفطر وصاح جوناثان :

«ماما»

قالها بصوت مضطرب يشبه صرير الباب ، وكاد يرقص وهو يحاول أن يجتاز الردهة ليصل اليها.

وانفرج فمها الجميل عن ابتسامة ، واحدودب جسمها وهي تنحني عليه لترفعه بين ذراعيها ، وهي تقول :

«أهلا ..حبيبي»

وظلت تعانقه ، وهي سعيدة بيديه الصغيرتين تسان شعرها وتحيطان برقبته. وهو يلتصق بها بحب وثقة. وداعبته بقولها:

«هل كنت طفلا مطيعا للعمه كلارى ؟»

واتسعت حدقتا عينييه بشيء من الجدية ، وهو يقول :

«العمه كلارى لها رجل ...مسكينة . تعالي لترى»

وأمسك جوناثان بأمه ، وصار يجذبها تجاه الصالون حيث كانت كلارى ميدوز تجلس على أريكة ورجلها المربوطة بأحكام بشريط لاصق تستقر على كرسي صغير أمامها. ونظرت اليها دابون تحاول أن تخفف من الموقف ، وقالت وهي تقبل وجنتيها بحرارة:

«كيف حدث ذلك؟ أشعر بأمانة أنني لا أستطيع أن أتركك وحدك ولو لخمس دقائق»

وبدت على وجه كلارى ابتسامة تدل على الخجل ، وهي تقول :

«أنني أعرف . أنني امرأة عجوز حمقاء ، أليس كذلك يا جوناثان؟»



وتسليق جوناثان الأريكة ليجلس الى جوارها، وواصلت الحديث :  
«كيف حالك يا دابون ؟ هذا هو المهم . أنني أسفة اذا كنت اضطررتك للتعجيل بالرحيل».

وحاولت دابون أن تزيل شعورا باليأس كان قد بدأ يعتلج في نفسها بعد أن بدأ احساسها بسلامة الوصول يخمد تدريجيا وأجابت :  
«لا، أنك لم تفعلي ذلك. لقد كنت عازمة على الرحيل».

واقتم وجه كلارى ، وأخذت تقول :  
«لا يبدو أنك في حالة طيبة . أنا ألاحظ ذلك الآن. هل قابلت مانويل؟ وهل حصلت على النقود؟»

«نعم، نعم، قابلت مانويل ، وحصلت على النقود»  
وضمت كلارى شفتيها، وهي تعلق :  
«ولكن يبدو أنك عانيت كثيرا».

وأومأت دابون ثم قالت وشفتها لانتكادان تنفرجان:  
«نعم ، لقد عانيت الكثير»  
وتنهدت كلارى ، وقالت :

«حسنا، لانتكترشي الآن. لقد عدت الى بيتك، وسوف تفصين على ماحدث عندما تودين ذلك. أذهبي وضعي الغلاية على النار. لقد كانت السيدة رينولدز هنا منذ لحظات وعندما لمحتك قادمة على الطريق تسلت من الممر الخلفي ، وربما ظنت أننا نفضل أن نكون وحيدين بعض الوقت . كانت قد أعدت كل شيء لعمل الشاي».

وأومأت دابون بالموافقة، واستطاعت أن تنتزع نفسها من الكرسي بمسقة.  
كانت كلارى على صواب ، لقد عادت الى بيتها الآن ، ولم يكن هناك داع

من أن تشغل فكرها الى حد اليأس . ووجدت أن من الأفضل أن تشغل نفسها بقضاء أعمالها اليومية وتترك للزمن ان يدمل الجراح التي كانت لاتطاق في تلك اللحظة.

وكان يكفي في هذه الفترة أن تدبر حياتها يوما بيوم وهي تأمل انها ان عاجلاً أو آجلاً سوف تنسى تلك الأيام المؤلمة التي أمضتها في البرونسر

وتحسنت حال جوناثان بعض الشيء . وكان لايزال يعاني من السعال الحاد ولكنه أخذ يتحسن مع مجيء الأيام الدافئة، أنه يكبر سريعا، وأحست دابون أنها سوف تفتقد فيه الطفل الذي عرفته. سوف يكون قادرا على أن يمضي معتمدا على نفسه الى أي مكان يذهبان اليه بدلا من استخدام عربة الطفل ، وأنه بالضرورة سوف يسأل لماذا يسعد كل الأطفال الآخرين بأن لهم أبا في حين لا أب له.

كانت ساق كلارى تتأثر للشفاء ببطء ، وكان بإمكانها أن تتحرك مستندة على عكازين بعد أن مضى بعض الوقت ، وعلى الرغم من أنها لم تكن قادرة على الاسهام في رعاية جوناثان ، فقد كانت تصمم على أن تجلس على كرسي في المطبخ لتعاون في تقشير الخضراوات أو غسل الصحون.

وذات عشية خرجا الى أحد المتنزهات التي تقع على مسافة بعيدة نوعا، وفي طريق العودة الى المنزل كان جوناثان يرقد في عربة الطفل التي كانت دابون تدفعها أمامه . حسبت بمقدمة إحدى السيارات تهدى السرعة وتسير محاذية لها بعض الوقت . كانت سيارة من نوع المرسيدس الليموزين وكانت أجزاؤها المعدنية المصنوعة من الكروم المطلي تومض بطريقة تضفي على السيارة رونقا وفخامة.

وأخذت دابون تستحث السير، وتحاول أن تتجاهل السيارة ولكن السيارة



زادت من سرعتها لتواكبها ، ونظرت دابون حولها بسرعة واطمأنت عندما وجدت المكان أهلا بالناس. وربما خطر لها أن خيالها فقط يجعلها تظن ان السيارة تتبعها فألقت نظرة تستطلع داخلها ولم يكن هناك غير السائق فرمقته بنظرة قاسية قبل أن تدخل الى عمر صغير، وبذلك نجحت في التخلص من محاولته اقتفاء أثرها. وكانت هذه التجربة أيضا مما أثار ضجرها بعض الشيء فقررت ألا تخرج لعدة أيام بعيدا عن المحال التجارية، ومن وقت لآخر تشرد بفكرها تناقش احتمال ما اذا كان مانويل قد علم بموضوع جوناثان وما اذا كان بالفعل يخطط لاختطاف الطفل، وكانت تلك اللحظات يغلب فيها الخيال ولكنها قررت أن تزيح تلك الأفكار جانباً وأقنعت نفسها بأنها ترجع الى أوهام مخيلتها المتأثرة ببرامج التليفزيون.

كان الطقس أخذاً في الدفء ، وفي عشية أحد الأيام اصطحبت جوناثان الى حديقة الحيوان ، وكان قد بلغ من العمر مرحلة بدأ فيها يحب الحيوانات ويولع برؤيتها، كان يجري بشغف يبدي إعجابه بالسلالات المختلفة ويتناول المشروبات اللبنة ويتصرف مثل أي طفل آخر تناح له الفرصة للخروج واللعب، ولم يعاوده السعال الا في الحافلة في طريق العودة فالتوت قسماً وجهه من صعوبة التنفس.

كانت غارقة في أفكارها ومخاوفها حول جوناثان ، وهي تدفع عربة الطفل في ساحة بلدرم لدرجة أنها لم تلاحظ سيارة الليموزين الرمادية واقفة أمام المنزل رقم ٥٣ الا عندما وصلت هناك، وبدأ قلبها عندئذ يدق بضربات مكتومة وملأها شعور مخيف بالعجز، من يكون الشخص الذي حضر بهذه السيارة غير مانويل ؟ كيف عرف مسكنها ولماذا حضر؟

دخلت دابون البيت بحذر وسمعت أصواتاً آتية من الصالون ، وبينما كانت

تشاغل بخلع ملابس جوناثان الخارجية عنه خرجت العمة كلارى من تلك الحجرة وأغلقت الباب خلفها ونظرت دابون اليها بعينين تعبران عن الألم المبرح، وهزت كلارى رأسها وهي تستند متثاقلة على عكازيها ، وقالت: «ربما ظننت أنه مانويل ، انه ليس هو ، ولكنه هنا في لندن ، يريد أن يقابلك.» ونهضت دابون وجوناثان في يدها تضمه في حماية الى جسمها ونسيت أنها كانت لاتزال تعني بتغيير ملابسه ، وسألت:

«من هنا إذن ؟»

وأجابت كلارى :

«أعتقد أنه سائق السيد سان سلفادور»

ورددت دابون :

«سائق ، وتذكرت في الحال حدث السيارة الليموزين في الشارع، وتوترت أعصابها. لو أن الرجل كان قد رآها مع جوناثان - فهاذا أخير مانويل عنها؟ ولماذا حضر مانويل الى لندن أصلاً ؟ ونظرت الى الطفل الناعس وهي تبلل شفتيها الجافتين ، وواصلت الكلام :

«انه متعب ياكلارى . وقد حان وقت نومه . هل يمكن أن أصعد به الى الطابق العلوي ، وأترك لك أن تتصرفي هذه الليلة؟»

وأومأت كلارى ، وهي تقول :

«بالطبع ، أنني أفهم، هيا اصعدي الآن . بإمكانك أن تعدي له مشروباً فيما بعد، وأستطيع أن أقول انه لا يحتاج الى شيء آخر. هل عاوده السعال؟»

وأجابت دابون :

«نعم ، ولكن ليس كثيراً. انه متعب فقط ، لقد استمتع بنزهة المساء للغاية ... بل لقد استمتعنا نحن الاثنين كثيراً.»



وصار صوتها يخرج متثاقلاً ، وقد مسها شيء من الخوف ، ومدت كلارى يدها تربت على ذراعها ، وقالت معاتبة في رفق :  
«كفى عن هذا القلق ..»

فقالت :

«ولكن ما العمل لو أن مانويل عرف بوجود جوناثان»  
ونظرت إليها كلارى فتوقفت عن الحديث فجأة ، وسألتها كلارى في دهشة :

«ولكن لماذا يضم الطفل اليه ؟ هل تقبل زوجته أن تربى طفلاً من امرأة أخرى؟»  
وعلقت دابون :

«انه لم يتزوج بعد !»

وتنهدت دابون بطريقة تدل على القنوط ، وقالت :  
«لم أتحدث اليك عن هذا الموضوع يا كلارى ، لأنني لم أستطع ، والآن يبدو أن الوقت قد صار متأخراً»

وهزت كلارى رأسها ، وهي تقول :

«لا أعرف ماذا أقول يا دابون ؟ كنت أظن أنك كنت تعتزمين أن تخبريه عن الطفل»

واستمرت في شيء من الغضب :

«ولكن ، قولي لي كيف حصلت اذن على النقود مالم ، مالم...»

«لا يمكننا أن نتحدث الآن ، انك بالتأكيد تقدرين ذلك»

وأصدرت كلارى ايماءة تدل على الانفعال ، وقالت :

«لا أريد أن أتدخل في شؤونك الخاصة يا دابون ، ولكن يبدو لي أن لديك الكثير من التوضيح لو أنك طلبت من مانويل النقود دون أن تخبريه عن

الطفل ، فعلى أي أساس أعطاك النقود ؟»

ومدت دابون أصابعها المتوترة تمسك بها شعرها الأسود الحريري في عصبية ظاهرة ، وقالت :

«ليس الآن يا كلارى ..»

وأدارت دابون وجهها في اتجاه آخر ، وقالت :

«هل تعتزمين أن تخبريه اذن ؟»

وصاحت كلارى باستغراب :

«أوه ، يا دابون . هل اهتزت ثقتك بي الى حد تظنين أنني أفعل مثل هذا الشيء دون طلب منك؟»

وبدا وجه كلارى وقد تغضن من الهجوم ، وأدارت دابون وجهها المعبر عن الندم ناحية عمته ، وهي تقول :

«لا ، لا ، بالطبع لا . أنني أسفة ، أنني فقط مضطربة ومتعبة .. لم أقصد أبدا أن أكون قاسية»

وابتسمت كلارى ابتسامة طفيفة ، وهي تقول :

«يبدو لي أن كليتنا متعبتان ، ولا ينبغي لك أن تضيعي وقتاً أكثر في الحديث الي . يمكننا أن نتكلم فيما بعد ، انزلي وقابلي هذا السائق ، اذ لاشك أنه قد بدأ يقلق الآن»

وسألت دابون :

«وماذا على أن أفعل ؟»

واستفسرت كلارى :

«بخصوص مقابلة مانويل ؟»

وأجابت دابون :



«نعم»

وسألت كلارى :

«هل تحبين أن يحضر ال هنا؟»

«وأجابت دابون :

«لا»

ورفعت كلارى حاجبها ، وهي تقول :

«أذن معك الاجابة . سوف ينام الطفل الآن . اذهبي . اذا كان هذا مايريد.»

وردت دابون :

«ولكنني لا أستطيع الذهاب هكذا ، ينبغي أن أبدل ثيابي.»

وردت كلارى :

«حسنا ، اذهبي وقابلي السائق أولا ، ثم اطلبي منه أن ينتظر.»

وأجابت دابون :

«حسنا.»

ونزلت دابون الى الطابق الاسفل ببطء ، ثم سارت عبر الممر الى الصالون ،

وكان الرجل الذي نهض عند دخولها أكبر في السن مما كانت تعتقد ولكنه كان

الرجل الذي رآته من قبل في السيارة الليموزين . وقال بأدب :

«مساء الخير ياآنسة . لا بد أنك الآنسة كنج ، أليس كذلك؟»

وأجابت دابون :

«نعم»

وأخذت تبلع ريقها بصعوبة وهو يقول :

«لقد علمت أن السيد سلفادور يريد أن يراني.»

وأجاب السائق :

«نعم ، انه يقيم في فندق سافوى ، وقد طلب الى أن أوصلك الى هناك...»

وعلفت دابون :

«لقد فهمت .»

وترددت لحظة ثم واصلت الحديث :

«هل تعرف لماذا حضر السيد سان سلفادور الى لندن.»

وأجاب السائق :

«بالطبع يا آنسة انه هنا مع الآنسة بماريس.»

«مع ايفون؟ صاحت دابون بهاتين الكلمتين ولكن في صوت مختنق ، ثم

تمكنت من أن تسيطر على نفسها ، ونظرت بعيدا تحاول أن تستجمع حواسها ، وخطر

لها كم كان شيئا مهيئا أن يكون ماثويل في لندن ومعه ايفون ، ومع ذلك

لازال ينتظر أن يكون علاقته معها ، وجعلت تفكر... الا يكن لها أي احترام ؟

وبعد كل ما حدث ، ألم يكن قد عرف بالتأكيد أن ذلك موقف مستحيل ؟

والتفتت الى الرجل ، وقالت بهدوء :

«ارجو ان تحمل رسالة مني الى سيدك.»

واغبر وجه السائق ، وقال هو يكاد لا يصدق ما سمع .

وتحرك السائق بقلق ، وهو يعث بقبعته ذات القمة المدببة :

«انه في المستشفى مع الآنسة بماريس»

وشعقت دابون ، وهي تقول :

«في المستشفى ؟»

وقالت وقد أدركت أن الرجل ليس ملاماً على ذلك :

«أنني أسفة ، ولكنه مستحيل»

وتحرك السائق نحو الباب وقال :



«إذا كنت تقولين هكذا بأنسة، فإن على أن أنصرف . الى اللقاء.»

وردت دابون . وهي تودعه عند الباب :

«الى اللقاء.»

وعندما بسطت قامتها، وجدت كلارى أتية نحوها تهبط الدرج، واتجهت دابون نحوها لتأخذ بيدها، وكانت تبدو في عيني لارى نظرة غضب وحيرة . وتنهدت دابون وقالت قبل أن تسألها كلارى:

«لقد رفضت أن أذهب لمقابلة مانويل . انه هنا مع ايفون . المرأة التي كان يزعم الزواج بها . كانت قد وقعت لها حادثة منذ نحو سنتين أدت الى اصابة عمودها الفقري ولكن هناك أمل أن تستعيد قدرتها على المشي من جديد.»

كانت كلارى تستند بثقل على دابون . وهما يجتازان الردهة . واستفسرت كلارى :

«ألهذا لم يتزوجا اذا ؟»

وأجابت دابون . وهي تساعد على الجلوس في أحد كرسي الصالون:

وهزت كلارى رأسها . وهي تقول :

«يبدو لي أنه لازال هناك الكثير لم تخبريني به بعد . واذا لم يكن مانويل سعيدا برؤيتك . فلماذا أعطاك النقود ؟ ليتخلص منك ؟»

وغاض الدم في وجه دابون . وهي تقول :

«أ. أ. نعم أعتقد ذلك.»

وسألت كلارى مرة أخرى :

«ولماذا حضر اذن الى هنا؟ ولماذا يريد أن يراك ؟ ان هذا يناقض مع ماذكرته من قبل.»

وضغطت دابون راحتي يديها معا . ثم قالت :

«انها قصة طويلة ياكلارى . ألا يمكن أن نتركها الآن ؟ فقط الآن.»

وردت كلارى :

«لقد تركناها لمدة خمسة أسابيع يا دابون ! ألا تعتقدين أن هذا الوقت يكفي؟»

وتنهدت دابون . وقالت :

«حسنًا . أعتقد ذلك.»

وعلقت كلارى :

«لماذا اذن لا تجلسين . وتقصين على ماحدث بالضبط ؟»

وترددت دابون . ثم هزت رأسها بتناقل وهي تجلس على الكرسي المقابل وشرعت تقول :

«حسنًا . سأقص عليك بالضبط ماحدث . لقد قابلت مانويل . وأخبرته أنني بحاجة الى خمسة جنيه . ولقد تعجل الاستنتاج بأنه اما أنني كنت أحتاج الى النقود لأنني حامل . وأما أنني أحتاج اليها بسبب رجل آخر.»

وعلقت كلارى :

«في رأي أن ذلك الفرض لم يكن فرضا مستبعدا.»

وردت دابون :

«قد لا يكون ذلك . وعلى أي حال فقد رفضت أن أخبره لماذا كنت أحتاج الى النقود . وقد وافق في النهاية على أن يعطيني اياها اذا ماقبلت أن أذهب الى بيت الأسرة لمقابلة جيا.»

واستفسر كلارى :

«جدته !»

وأجابت دابون :

«نعم.»



واستفسرت كلارى مرة أخرى :

«لكنني كنت أعتقد أنها تعيش في عربة.»

وأوضحت دابون :

«كانت تفعل ذلك فيما مضى ، ولكن يبدو أنها كانت قد أصيبت بأزمة صحية ، وألح الأطباء كما ألح مانويل على أن تعيش مع الأسرة في المنزل ...وعلى أية حال ، فقد ذهبت معه لمقابلتها، وقابلت أمه كذلك ايفون.»

واستفسرت كلارى :

«لقد قلت ان ايفون كان قد وقع لها حادث ، ما هو ؟

وأجابت دابون بصوت يكاد يشبه الصوت الصغير الذي كانت لويزا تحكي لها به القصة لأول مرة، وكانت تعبر بنبرة تخلو من الانفعال وهي تقول :  
«لقد طعنها ثور بقرنه فأصابها.»

وأحست كلارى بالصدمة ، وصاحت :

«يا الهي ! يا للفظاعة.»

وترددت دابون لحظة ثم غادرت الحجرة ، لم تكن أحسن حالا ، ولم يكن بوسعها أن تتحدث عن عواطفها نحو مانويل حتى مع العمة كلارى ، فلم يكن من سبيل للتعبير عن الحالة النفسية التي تعانيتها في كل مرة كانت تسمح لذكرياتها معه بأن تطفو الى ذاكرتها.

استيقظت دابون من نعاس قلق على صوت طرق مستمر على باب المسكن في حوالي الثانية عشر من تلك الليلة، وحاولت وهي تستند الى الفراش بعين طارفة أن تتعرف على الوقت ، وعندما استمر الطرق على الباب نهضت من الفراش مسرعة ، ولبست رداء ، فقد بدا واضحا أن الطارق على الباب كان مصمما ، وكانت دابون حريصة على ألا يستيقظ جوناثان في تلك الساعة

من الليل.

ظهر شبح رجل يقف أمام الباب ، وكادت دابون أن تغلق الباب من جديد، ولكن مانويل خطا الى شعاع الضوء النافذ من الفتحة ، فلهت في دهشة. كان وجه مانويل قائما ومتجهها، وصار ينظر بقلق، واستفسر في خشونة:  
«هل تأذنين لي بالدخول ؟»

وكانت دابون تعرف أن هذا الاستئذان كان مجرد تعبير تقليدي ، وكانت تترك أنها ان رفضت أن تفتح له فقد يكسر الباب .

وقررت ألا تزيد من آلامه ، فأومأت في صمت ، ودفعت الباب دفعة خفيفة الى الأمام من جديد ، ثم فتحت الباب على مصراعيه وخطا مانويل الى الأمام فجأة ، ومد يده الى مقبض الباب ، وحلت يده محل أصابعها المستسلمة ، وأغلق الباب بإحكام خلفه.

وبدا بطريقة تعبر عن الغضب :

«والآن ...»

ولكنها هزت رأسها ورفعت اصبعها الى شفتيها، وهمست :  
«هيا بنا الى الصالون.»

وتبعها عبر الردهة الى الحجرة التي تقع عند منتهائها بعد أن أصدر صوتا يعبر عن القلق.

كانت الحجرة مريحة ، وتحوّلت عينا دابون في الحجرة في هلع تبحث عن أي أثر يدل على وجود جوناثان . اما مانويل فأمسك بها من كتفيها، وأدارها بخشونة لتواجهه ، وسألها في قسوة:  
«لماذا لم تحضري لمقابلتي ؟»

وخطت دابون بضع خطوات الى الخلف بعيدا عنه ، وهي تقول في نبرة غير



«إذا كنت تقصد الاستدعاء الذي بعثت به الى اليوم ، فلقد كان على أن أدرك أنه

كان من الواضح...»

وقاطعها مانويل :

«لماذا من الواضح ؟»

ولمحت دابون ، وقالت :

«أنت في لندن مع ايغون . أخبرني السائق بذلك . ماذا تظنني ؟ هل أنا نوع من

البديل المؤقت ؟ ومد يده الى شعره الكثيف يشطه به ، ونطق ينعتها:

«لماذا أيتها ال...»

وتوقف عن الكلام ، وأخذ يحل أزرار سترته ، ومد يده الى مؤخرة رقبته ،

وبذلك ضاق قميصه الحريري فالتصق بعضلات صدره العريضة ، وأصدرت

دابون إشارة يانسة وهي تقول :

«لا أرى لي علاقة بهذا، ومشاغلك الشخصية لاتعنيني.»

وتتم بصوت مبحوح :

«لقد بدأت أدرك ذلك . يا الهي ، انك لاتدركين مدى الألم الذي عانيته يادابون

خلال الأسابيع الأخيرة منذ أن رحلت.»

«لا أعتقد أن من حقل أن تتحدث الى بهذه الطريقة.»

ووقف مانويل أمامها ، وقد صارت كل حركة من جسده تمتلئ بالاثارة ،

يقول لها:

«ولم لا ؟ انها الحقيقة.»

وأملت دابون رأسها، وهي تقول :

«أرجوك يامانويل . لماذا جئت الى هنا في هذا الوقت من الليل؟»

وانحنى مانويل الى الأمام واضعا إحدى يديه على كل من يدي الكرسي  
بطريقة جعلت دابون تتراجع لتستند الى ظهر الكرسي تماما لتتجنب ملمسه ،  
وأمن على كلامها بقوله:

«نعم ، انه جنون .»

وكانت عيناه تتفحصان جسدها بنوع من التقدير المشوب بالاسفاف وهو  
يضيف :

«كان الأمر هكذا دائما بيتنا، أليس كذلك ...»

وأحست دابون بأنفاسها تخرج بصعوبة ، وقالت :

«ماذا تريد مني ؟»

وخلال ذلك الترقب القلق الذي بدأ يحوط بهما في ذلك الوقت من الليل ، بدأ  
جوناثان يبكي فجأة . كان صوته حزينا . كان ذات الصوت يصدر عنه في  
حالات الفزع، وقد بدا أن صوتها قد ايقظه رغم أنه كان خفيا.

«من الذي يبكي ؟»

وترددت دابون لحظة ، ثم قالت بهنو:

«جوناثان !»

وأخذ مانويل يمشط شعره بيده بعنف ، وهو يقول :

«يا أهي ، ياذا القدرة! هذه الصرخة ، وهذا الطفل.»

وأومأت دابون ببطء علامة الموافقة، والتوت شفتا مانويل بطريقة  
متعرجة، وهو يقول :

«تقصدين أن لك طفلا صغيرا ؟»

وحاولت دابون أن تستنشق نفسا مرتعشا، وأومأت من جديد . ونطق

مانويل بلعنة مكبوتة ، ثم تتم بصوت مخنوق :



وخرج يتعثر من الحجرة دون أن ينبث بكلمة أخرى.

وسمعت صوت الباب الخارجي ينغلق بصريير يتردد صدها بطريقة مخيفة في أرجاء البيت .

## ٩ - واجتمع شمل العائلة

كانت دابون في الأيام التالية تعاني من حالة كآبة ، لا تدري ماذا تفعل ، وبدا لها أن أي أمل في المستقبل قد انتهى ، وما كانت نصائح كلاري لتزيح عنها شعور اليأس الذي استولى عليها. لقد مضى مانويل هذه المرة وما كان ليعود.

ولكنها بدأت تستعيد ثقتها بنفسها بالتدريج وببطء مع مضي الأيام . كان جوناثان معها ولم يكن له ذنب في الخطأ الذي وقع فيه أبواه وجعل من حياتهما مأزقا مروعا...

كانت قد مضت ثلاثة أسابيع تقريبا بعد تلك الليلة المشؤومة التي زارها فيها مانويل عندما جاء الى دابون زائر غير مننظر- وكانت كلاري قد رفعت الشرائط اللاصقة من على ساقها قبل ذلك بيومين ، وفي الجو اللطيف في هذه العشية صحبت جوناثان معها بزيارة الى صديقة تسكن على بعد مسافة قصيرة بالحافلة - كانت دابون تقوم بتنظيف بعض الخزانات في الطابق العلوي ، عندما سمعت طرقا على الباب الأمامي تنهدت بقلق ، ونزلت لترى من بالباب ، ولكنها خطت الى الخلف مشدوهة عندما وجدت أن الواقف على عتبة الباب كان ايفون ديمارس.

لم تكن ايفون في هذه المرة الفتاة المقعدة على الكرسي المتحرك التي رأتها دابون في زيارتها للبروفنس ، وإنما كانت ايفون أخرى تسير على ساقها، نحيلة أنيقة ، تتم ثيابها عن ذوق .



وتقوست شفتا ايغون باحتقار عندما رأت دابون ملابسها الرثة  
الملطخة بالغبار ، وخاطبتها تقول :

«أريد أن أتحدث اليك يا دابون ! هل تسمحين لي بالدخول ؟»

ولم تتزعزع دابون ، وردت بنبرة أكثر هدوءاً عما كانت تتوقع :  
«ليس ثمة حديث بيننا ، يا ايغون .»

وضاقت عينها ايغون ، وهي تقول :

«ولكن أعتقد أننا ينبغي أن نتحدث . سوف تجددين أن ما لدي من حديث  
يهلك.»

وهزت دابون رأسها ، وقالت :

«لدي عمل أريد أن أنجزه.»

وخطت ايغون الى المدخل ، وهي تقول :

«يمكن للعمل أن ينتظر . ألا يهلك أن تسمعي أن مانويل في حالة مرضية  
خطيرة ، وربما يموت ؟»

وأبيض وجه دابون عندما صدمتها ايغون بالنبا ، وقالت لاهثة :

«انك تكذبين.»

ورفعت ايغون حاجبها في سخرية وقالت :

«اكذب ؟ أنت متأكدة ؟»

وصارت دابون تبلع ريقها في صعوبة وهي تقول :

«لو أن مانويل على وشك الموت ، فلماذا أنت هنا؟ ولماذا لم تبقي الى جواره ؟»

وأخذت ايغون تنشق بركة ، ثم قالت :

«لا أحب أن أبقى هكذا في المدخل يا دابون ؟ هل تعتزمين أن تسمحي لي  
بالدخول أم لا؟»

وترددت دابون أول الأمر ثم أفسحت لها الطريق فدخلت ايغون وقد

لنالي الفصل

علت وجهها ابتسامة خفيفة تتم عن شعورها بالانتصار ، ودلفت الى داخل الردهة  
ولاحظت دابون أن خطوها كان بطيئاً ولكن لا أثر للعرج وأدركت أن المرحاحين  
قد أجروا العملية لايفون بنجاح.

وصارت ايغون تجيل البصر في الصالون حولها بشيء من الاشمئزاز ،  
وسألت دابون بوقاحة :

«هل تعيشين هنا ؟»

وتوترت وجه دابون ، وظهرت عليه أمارات القلق ، وقالت :

«أرجوك ، ما الفرض من قدمك الى هنا ؟ ما الذي حدث لمانويل ؟»

التفتت الى دابون في ذهول تقول :

«تلك اللعب ، هل هي لطفل في هذا المنزل ؟»

وفكرت دابون بسرعة :

«هل تجيبها أم لا ولكنها كانت تعرف أن ايغون لن تقنع ما لم تحصل على اجابة  
شافية ، ولذلك أجابتها بصوت فيه شيء من التوتر :

«نعم.»

واستغرقت ايغون تفكر بامعان ، ثم قالت :

«كنت أظنك تعيشين وحيدة ، مع عمك ؟»

وأجابت دابون :

«كنت ، أقصد أنني أعيش كذلك ، أي ...»

ومسحت ايغون بلسانها على شفتيها وظهرت على وجهها ابتسامة ، ولكنها

لم تكن ابتسامة الرضى ، وقالت :

«اذن أنت لديك طفل ؟»

وغاض الدم في وجنتي دابون ، واجابت :

«نعم.»



وأخذت ايفون تهز رأسها ، وهي تكاد لاتصدق ثم ضحكت ساخرة وأطلقت تعبيراً يدل على الانتصار ، وقالت :

«اذن هذا هو السر ، السر الذي اكتشفه مانويل في تلك الليلة وجعله يعود فوراً الى فرنسا ويندفع الى حلبة المصارعة حتى كاد يقتل نفسه. هكذا بعد كل ماحداث ، لديك طفل ! أوه ! ان هذه سخرية يادابون ، ألا تعتقدين ذلك ؟» كانت دابون ترتعد تحت وطأة انفعالات قاسية ماكانت تدرك بوجودها في أعماق نفسها ، وكادت هذه الانفعالات تدفعها الى أن تمسك بايفون من شعرها لتقتلع عينيها بسبب سخريتها منها.

وأجابت بصوت مبحوح :

«أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدثين.»

وهزت ايفون رأسها ، وقالت :

«لاتحاولي أن تحجبي عني الحقيقة يادابون . انني أعرف مانويل جيداً . انه شخص مثالي ، قليل الاحتمال : لايرضى بأقل من الكمال التام في المرأة التي يحبها.

واضطربت دابون ، وأخذت تسأل :

«ماذا تعنين ؟ أين مانويل ؟ تقولين انه أصيب في حلبة المصارعة ؟»

وتفوس حاجبا ايفون ، وهي تقول :

«نعم ، هذا ماقلت.»

واستمرت دابون تسألها :

«ولكن كيف ؟ مانويل يعرف الثيران جيداً ، كيف قام بهذه المخاطرة؟»

وهزت ايفون كتفيها بشيء من عدم الاكتراث ، وقالت :

«أنا لايهمني مانويل بصفة خاصة.»

وردت دابون بشيء كبير من القلق :

«ولكن أنا مهمني ! كيف تتكلمين بهذه اللامبالاة ؟ لقد كنت أظن أنك ولهة بحبه.»

وتوترت شفتا ايفون :

«كنت ذات يوم ، ولكنني الآن أكثر نضجاً . ومن التي تقبل أن تتزوج رجلاً كتب عليه أن يبقى مقعداً طوال حياته ؟»

وظهر الألم المبرح في عيني دابون ، وهي تعلق وانفاسها تخرج متقطعة :

«يا ألهي.»

وانتزعت دابون الكلمات بصعوبة من بين شفتيها ، وهي ترد :

«انك لاتعرفين شيئاً ، انك مجرد شريرة لاتهتمين بأي شخص سوى نفسك ، وعندما كنت أنت مقعدة فان مانويل لم يتخل عنك.»

وبد الحقد في عيني ايفون ، وهي تقول :

«لم يتركني ؟ أنت تعرفين ياعزيزتي أنه كان قد تخطى عني تماماً يوم أن وقع لي الحادث ، ولكنك لاتعرفين ذلك بالطبع . انك تعرفين فقط ما أخبرتك به لويزا . أنني أنا ومانويل تشاجرنا ، وحاولت أن أثار لنفسي منه بتعذيب الشيران العزيزة عليه.»

ولم تستطع دابون أن تقمع فضولها ، فسألت :

«تقصدين انكها كنتا تتنازعا لأن مانويل كان يهدد بتركك.»

وتظاهرت ايفون بأنها لم تسمع تلك الملاحظة ، وصارت تهندم نفسها أمام المرأة الموضوععة فوق المدفأة ، ثم قالت :

«ان مانويل ينتمي بنسب الى الغجر ، وكانت جدته تلك الساحرة العجوز تكرر ذلك دائماً ، وقد جعلته يعتقد أنه لايمكن أن يتزوج من أية امرأة أخرى لو رغب في ذلك لأنه تزوج بك أنت بالفعل من وجهة نظرها ، وهو لم يكن يعرف أن أمه تخلصت منك . وكان لايزال وقت قريب يفكر في أن يحضر الى إنكلترا ليعثر



ذلك؟»

وتوقفت ايفون ، وسألت :

«ماذا تعنين؟»

وهزت دابون رأسها ، وقالت :

«أوه ، لاشيء . هل أنت راحلة؟»

وترددت ايفون بعض الشيء ، وبدأ أنها أحست بصدمة عندما لاحظت اشرافه تتلأأ في عيني دابون . وأخيرا خطت الى الباب الخارجي ، وفتحت لها دابون الباب بأدب واجتازته ايفون . وكانت السيارة التي استأجرتها تنتظرها عند المدخل ، ولكن دابون لم تنتظر لئلا تراكها تركب ، وأغلقت الباب ، وأستندت ظهرها اليه ، وهي ترتعش . وخطر لها أنه لو كان ماقالته ايفون صحيحا فان ذلك يفتح العديد من الفرص أمامها .

وعندما رجعت كلارى مع جوناثان ، كانت دابون قد اتصلت هاتفيا بالمطار ، وحجزت لنفسها مقعدا على الرحلة الجوية الى ماريجنان في اليوم التالي . وبدأت بالفعل تحزم بعض ملابسها وملابس جوناثان في حقيبة السفر . كانت قد قررت أن تصطحب جوناثان معها في هذه الرحلة ، وعزمت على ألا تقع أخطاء أخرى في هذه المرة .

وحجزت دابون في نفس الفندق الذي كانت تقيم فيه في مدينة أول ، ورأت عيني السيد ليون تتسعان باهتمام عندما رأى جوناثان ، ولكنه قمع رغبته واكتفى بأن رحب بعودتها دون أن يشغل عليها بأي سؤال ، وأكد لها أنه وزوجته يرحبان بالاهتمام رعاية الطفل اذا أرادت الخروج في احدى الأمسيات . وحاولت أن تسأل عن تفاصيل اصابة مانويل من المستشفى ، ولكن أحدا لم يجيبها في هذا الشأن ، وربما ظن المسؤولون في المستشفى أنها صحفية تبحث عن قصة... وأيا كانت الأسباب وراء رفضهم الادلاء بأية معلومات ، فقد رفضوا

لبنالي الصغير

ملكك ويصطحبك معه الى البيت ، وكاد يجن من الغيرة عندما اختفيت.»

وعلقت دابون ، وهي لا تصدق ماسمعه :

ماذا ؟ ولكن مانويل لم يعد في ذلك اليوم الذي تلا المراسم ، أمه فقط هي التي جاءت . كيف لم يمنحها اذا كان احساسه هكذا نحوي؟»

وردت ايفون :

وكيف كان يستطيع ذلك ؟ لقد كان طريق الفراش في المستشفى بسبب كسر في خذه . كنت أظن أن لويزا أخبرتك بذلك.»

وبلعت دابون ريقها بصعوبة ، وتذكرت :

الحادث ! تعنين أن الحادث وقع في ذلك اليوم ؟»

وبدا على ايفون أنها قد بدأت تضيق بالموقف ، وقالت :

بالطبع ، لقد عاد الى المنزل في ذلك اليوم ، ليخبر أبويه بما حدث ، وكنت هناك . قد غضب والداه بالطبع ، وبعد ذلك بقليل سقط من فوق حصانه على مسافة تزيد عن مائة ياردة من البيت ، وقال أحد الحراس أن السرج لم يكن محكما .

وتقوست شفتاها في ابتسامة ، كأنها قد تذكرت شيئا يرتبط بذلك الموقف . أحست دابون أن ايفون كان لها يد في ذلك الحادث...

كان ذلك فيما مضى ، ولكن الذي يهم الآن هو الحاضر ، وأدركت دابون أن ايفون قد غيرت مجرى حياتها بطريقة غير ذكية .

والتفتت ايفون ، وهي في طريقها الى الباب تقول :

ها أنت قد عرفت كل شيء . يادابون . كل هذه الأحداث المثيرة ... من المؤسف أن النهاية لم تكن سعيدة ، وتعرفين أن وجود طفل معك قد عاق تلك النهاية . أليس كذلك؟»

وتكورت قبضتا دابون ، وقالت بظننة :

إن ذلك يتوقف على من هما الأخوان لهذا الطفل يا ايفون ؟ ألا توافقين على

لبنالي الصغير



أن يناقشوا شيئا يتعلق بحالة نزيل بالمستشفى ، واكتفت مؤقتا بأن أطمأنت بأنه لم يعد على حافة الموت...

وقررت آخر الأمر أن تستأجر سيارة تفودها الى منزل سان سلفادور في عشية اليوم التالي ، وأن تأخذ معها جوناثان ، وصارت تصلي من أجل ألا تؤدي هذه المغامرة الى تحطيم قلبها...

وأخيرا وصلت الى منزل سان سلفادور ، وكان المكان يبدو قفرا وصارت الكلاب تنبح تعلن مقدم الوافدين ومع ذلك لم يكن هناك ما يشير الى وجود أي انسان وخطر لها أنها ينبغي أن تشعر بالشكران لأن ايفون لم تكن هناك لتنقصها ، ولكن نبضها كان يدق بسرعة غير عادية ، وكانت ركبها ترتعدان دون أن تستطيع السيطرة عليهما ، وهي تهبط من السيارة.

وقررت أن تترك جوناثان في السيارة ، وكانت مطمئنة أنه لا يمكن أن يصيبه أي مكروه في هذا المكان من الساحة ، وخطر لها أن ذلك قد يجعل مقابلة مدام سان سلفادور أيسر مما لو كان معها جوناثان...

وأخذت دابون تدق على الباب بشدة ، ولفترة طويلة ، ولكن أحدا لم يجب ، وأخيرا اضطرت الى أن تجرب مقبض الباب ، وعندما انفتح الباب دخلت تساورها بعض الشكوك. كانت الآن تحتاز نفس الدهليز الذي كانت تحتازه مع مانويل وعن يسارها يقبع المطبخ الذي أدخلها اليه.

كان مانويل يهم بالنهوض من الفراش ، وأحس بها تدلف الى الحجرة فجذب الأغطية سريعا ليغطي بها عريه ، وصار يحرق فيها النظر وكأنه لا يصدق عينيه ... وتمتم بشيء من الانفعال .

«أهلا يامانويل ، كيف حالك؟...»

ومد مانويل يدا الى شعره الأشعث الذي أصبح الآن أكثر كثافة وأكثر طولا منذ مرضه بحيث أخذ يتجعد على مؤخرة رقبته ، وتمتم وهو يكاد لا يصدق

لنالي الصبر

عينيه :

«يا ألهي ، ما الذي جاء بك الى هنا؟»

وأغلقت دابون الباب خلفها ، وأسندت ظهرها اليه ، وأخذت تستفسر بطريقة مضطربة:

«لقد حضرت فعلا لأنني عرفت أنك أصبت في حادث. كيف حالك؟»

كانت عيناه الرماديتان تنظران في برود وغضب ، وقال :

«هل تريدان أن تعرفي كيق حالي ؟ حسنا ، أنني بخير لولا أولئك الأطباء السفهاء الذين أصروا على أن أخرج تلك الكمية من العقاقير لكنت قد شفيت الآن تماما...»

وهزت دابون رأسها ، وسألت :

«ولكن ما الذي حدث ؟ وكيف وقع لك ذلك ؟»

وتصلب فك مانويل ، وهو يقول :

«كل ماحدث هو أنني أصبت بقرن الثور.»

وحملت فيه دابون في فزع ، وهي تتخيل منظر المرح عندما وقع الحادث

حينما كانت البشرة تدمى وهي ممزقة ، وصاحت :

«أوه يامانويل !»

ولم تستطع دابون أن تتحمل الموقف أكثر من ذلك ، وبحركة يائسة هزت

كتفيها ، ثم اندفعت عبر الخطوات التي تفصل بينها وبين الفراش ، وركعت على

ركبتيها بجانبه ، وتركت وجهها يتمرغ على كتفه ذى البشرة البنية ، وأحست به

وهو يتصلب ، وأحست بيديه وهي ترتفع لتدفعها بعيدا عنه...

«لماذا جئت ؟»

وظلت لبضغ دقائق لا تستطيع أن تجيب ، واكتفت بأن التصقت به كما لو

كانت لا تحتمل أن تراه يبتعد عنها مرة أخرى ، وأحس مانويل بأن قدرته على



السيطرة على نفسه كانت ضعيفة ، وكان الجو داخل الحجرة الظليلة يوحى بالألفة والدفء ، ولم يكن فيما قبل يريدها أن تعرف بحاجته الشديدة اليها .

قال لها في شيء من الحدة :

«ينبغي أن نبسط الأمر سويا» .

وبدت تعبيرات وجهه أكثر صلابة ، وهو يقول :

«انك بالتأكيد تعرفين لماذا؟»

وعلمت على ذلك قائلة :

«لا، أنتي لا أعرف السبب . كنت أظن ، أعني ، ظلمت لثلاث سنوات أعتقد أنك تخليت عني» .

ورد مانويل قائلاً :

«نعم ، أعرف ذلك فان ايفون عرفتني به واعتدل في جلسته ، وجذب كتفيه»

واستمر يقول :

«بالطبع كنت سأخبرك في تلك الليلة لولا ، لولا أن قطعت علينا اللقاء» .

وردت دابون :

«أنتي أعرف ذلك جيداً الآن ، فقد أخبرتني ايفون منذ يومين أنك قد حسبت علاقتك بها . وهذا هو السبب في أنتي هنا» .

ومد مانويل يدا إلى رأسه يمشط بها شعره ، وهو يقول :

«أنتي لم أعد أعرف ما أريد . لقد ظننت أنه ما بوسعي أن أحتمل عندما اكتشفت أمر الطفل ، ولكن الآن ، وأنت هنا ، أفكر كيف يتأتى لي أن أحتمل لو تركتك تذهبين» .

والتوت شفتاه واستمر يقول :

«ياله من اعتراف ، أليس كذلك ؟ خاصة أنك لم تقومي من قبل بأية محاولة لتريثني الا عندما وجدت نفسك تحتاجين إلى شيء ما» .

وترددت دابون لحظة ، ثم قالت :

«هل تتريث لحظة ؟ لدي شيئاً أريد أن تراه» .

وصمت مانويل ، وهو يقول :

«وما هو؟»

وردت دابون :

«انتظر»

كان جوناثان لا يزال في مؤخرة السيارة حيث تركته ، ولكنه كان قد استيقظ وأخذ يتململ بعض الشيء ، فأشرق وجهه عندما رأى دابون التي سرعان ما رفعت بين ذراعيها برفق .

وحملته إلى داخل المنزل . كانت قدرته على المشي لازالت محدودة ، وكانت هي متعطشة لكي تري مانويل ابنه ، وعندما دعت باب حجرة مانويل وجدته قد نهض من الفراش وارتدى بنطلونا جلدياً باللون الأزرق القاتم ، وكان يحكم أزرار القميص الأبيض المصنوع من الحرير .

واستدار مانويل تجاهها عندما دخلت الحجرة ، وحالما وقعت عيناه على الطفل بين ذراعيها صاح في غلظة :

«بالله يا دابون ، ماذا تظنينني؟»

ووضعت دابون جوناثان على أرض الحجرة ، ووقف الطفل ينظر حوله بطريقة تأملية تستدر الحُب ، وقالت :

«أنظر اليه يا مانويل ، أرجوك أن تنظر اليه . هل يذكرك بشخص آخر؟»

والتفت مانويل ببطء ، ونظر إلى الطفل ، وحدق فيه لحظة طويلة ، ثم نظر إلى دابون ، وأحست دابون بأعصابها تتوتر تحت وطأة نظراته لدرجة كادت أن تطلق صرخة ، عندئذ احذودب جسم مانويل أمام جوناثان ، وأخرج علبة فضية من جيبه يجتذب ببريقها التفات الطفل الصغير .



ويمكن من أن يحتفظ باهتمام جوناثان لعدة دقائق ، وأن يجعل وجهه الصغير يبتسم ويكشف عن أسنانه البيضاء ووجنته البارزة ، والتحركات الماكرة في عينيه.

وبسط قامته ، وعندما نظر الى دابون كانت تحس كما لو كان قلبها ينضغط بألم شديد وسأها بانفعال :  
«لماذا لم تخبريني ؟»

وامتدت إحدى يديه لتمسك بمؤخرة رقبته وتجذبها نحوه ، وقالت وهي تنفس بطريقة متقطعة :  
«كنت أريد أن أخبرك.»

ولم تكن قد تأكدت بعد من أن كل شيء سوف يسير في الطريق الصحيح وأضافت :  
«انك تعرفني من يكون هذا الطفل ؟ أليس كذلك ؟»

وأجاب مانويل بعاطفة جياشة :  
«نعم ، انه ابني .»

ومسبت دابون وجنته بأصابعها الرقيقة ، وقالت :  
«كيف كان بوسعي أن أخبرك ؟»

وكان جوناثان يمشي بخطى قصيرة يشتكشفت الحجرة وهو مطمئن تماما طالما كانت دابون بالقرب منه . وأستمرت دابون تقول :  
«لقد كنت نائيا عني تماما.»

وأجاب مانويل :  
«أوه ، نعم . ان على أمي مسؤولية كبيرة في هذا الشأن.»

وارتعش مانويل رعشة طفيفة ، وهو يستند عليها ، وأسرعت تقول :  
«لا ينبغي أن تترك الفراش .»

«سوف أحسن ، وسوف ترين ، ولكنك لم تخبريني عن الطفل عندما حضرت الى بيت عمك ؟»

وعضت دابون شفتها ، وقالت :  
«لم أكن أعلم أنك قد حسمت علاقتك بايقون ، وكنت أخشى لو أنك عرفت بجوناثان فربما أخذته مني عنوة وحرمتني منه.»

وهز مانويل رأسه بعنف ، وتمتم بهنو :  
«وكان البديل لذلك أن ضاعت مني السنتان الأوليان من حياة ابني»  
وجعلت دابون شفتيها تلتصقان برقبته ، وهي تقول :  
«بالامكان أن يكون لنا أبناء آخرون.»

وأخذ مانويل جوناثان بين ذراعيه ، وصار الطفل ينظر إليه باستغراب ، وكان من الواضح أنه يتعجب من يكون ذلك الغريب؟ وقال مانويل :  
«أنني أفهم.»

كانت دابون وهي ترقب مانويل وجوناثان تحس بالدموع في عينيه ، وتمتمت في هنو ، بينما كان مانويل يشد خصلة من شعرها بقوة :  
«استأنف مانويل حديثه ، وصوته يغلظ قليلا :  
«أنني أريد زوجتي وطفلي في الحال.»

وكان جوناثان يعبث بالسلسلة الرقيقة حول رقبة مانويل ، ويمكن مانويل من أن يرفع السلسلة ويخلعها ، ووضعها بعناية حول رقبة دابون . وحولت دابون وجهها بعيدا . كان الموقف يتطلب أكثر مما تستطيع احتماله ، وخامرها احساس بأنها على وشك أن تجهش بالبكاء . وبدا أن مانويل قد أحس بما اعتراها من انفعال ، وانحنت ذراعاها بجوناثان الى الأرض ، وأمسك بدابون من كتفيها ، بينما كان جوناثان يتحرك بخطى قصيرة مبتعداً عنها .  
وقالت وهي تنفس بطريقة متقطعة :



«أنني لأستطيع أن أحتمل لو أن شيئاً وقع بيننا الآن.»

فقال بحماس :

«لاشيء يمكن أن يفرق بيننا الآن ، هذا وعد.»

واستفسرت منه :

«ولكن ايفون.»

وقاطعها:

«ما الذي يعينك من أمر ايفون؟»

وسألته :

«هل تعود الى كامارغ؟»

وأجاب :

«من المحتمل . لماذا ؟ انك لاتغارين منها، بكل تأكيد.»

وصدرت عنها ابتسامة ، وهي تهز رأسها قائلة:

«أوه ، لا. الواقع أنني يجب أن أشكرها، فلولا تدخلها ماحضرت الى هنا.»

وأدار مانويل وجهها تجاهه ، وسألها:

«ماذا تعنين؟»

وأخذت دابون في جمل مضطربة تخبره عن زيارة ايفون لها في منزل

عمتها.

وعلق في النهاية:

«ياللمسكينة ايفون ! لو أنها كانت تعلم ما كانت تسببه لي!»

وسألته في رقة:

«هل لاتزال جيا هنا...؟»

وابتسم مانويل في لطف ، وأومأ برأسه مؤكداً ، وقال :

«أعتقد أنها تنعم ببعض النعاس في فترة مابعد الظهيرة ، كما تعودت أن تفعل .

سوف تكون سعيدة جدا برؤيتك. لقد كانت مصممة على أن يجتمع شملنا من جديد. وأنت تعرفين أنها قد حاولت أن تبقيك معنا هنا من قبل.»

وقالت دابون ، وهي تتنهد :

«أنني أعرف أشياء كثيرة الآن.»

وخفضت عينيهما لترمق جوناثان الذي كان يعبث بردانها وسألت مانويل :

«هل تظن أن بإمكان لويزا أن تدبر مكاناً ينام فيه جوناثان الليلة اذا قررنا

ألا نعود الى الفندق؟»

وتقوست شفتا مانويل بطريقة تنم بعض الشيء عن الحزم :

«أعتقد أنه سوف يكون عليها ذلك.»

قالتا وعيناه تتركزان عليها ، وأضاف :

«لأنني بالتأكيد لن أسمح لكما بأن تذهبا.»